محمد رجب البيومي

العامودي الناقد

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

منذ اكثر من عشرة اعوام ورسائل الاستاذ العامودي تفد الي متحدثة عن شؤون مختلفة في الادب والثقافة ابدا بها، فيعقب عليها في ايجاز ينطق بالدقة والاخلاص ، وكنت المس لديه سماحة نادرة تنأى به عن الغرض والهوى بل ترتفع به الى النظر الشامل المغتفر لهنات يراها من لوازم البشر ، ودوافع الدم واللحم في دنيا تصطرع بالانانية والاثرة ، والرجل شاعر حساس ، او قل انه بدأ حياته الادبية شاعرا يفيض بهذا اللون الرائع من الوان الادب في قوة واقتدار ، وفي الناس من تكون شاعريتهم زيفا خادعا يختل القارىء بأوزانه وقوافيه ومن يصدرون في سبحاتهم الملهمة عن طبع رقيق يصور أسمى المنازع واصدق الخوالج ، وهؤلاء يكونون شعراء في سلوكهم ومواقفهم وعلائقهم الذاتية بالمجتمع والافراد ، قبل ان يكونوا شعراء بما يسطرون من كلام .

والاستاذ محمد سعيد العامودي شاعر بسلوكه لا محالة ، بل انه بسلوكه الراحم المتسامح ليعد في نفر من الآحاد ، اذكر ان الضيق قد بلغ به مبلغا حادا حين وجد بعض من يرسلون مقالاتهم للنشر بمجلتيه « الحج » و « الرابطة » يسطون على آثار غيرهم في وقاحة ، وكنت انا وسيلة بعض هؤلاء اليه عن جهل بحقيقة ما يقترفون ، وقد فوجىء الرجل حين وجد مدعيا من هؤلاء يرسل اليه مقالا براسه لكاتب آخر غير خجل من نسبته الى نفسه ؟

فقل لي بربك ماذا تصنع ايها القارىء معي اذا كنت رئيس التحرير ! لقد كنت اتصور فيضا من المؤاخذة يغمرني عن يمين وشمال ، اذ اني لا محالة أحد الشركاء في هذه المأساة حين زكيت سارقا لم يصن كرامتي معه !

ولكن الاستاذ العامودي يكتب الي خطابا رقيقا يقول فيه بعد مقدمة هادئة « ان فلانا أرسل الي مقالا علمت حين رايته انه مقال الاستاذ فلان المنشور من اعوام بمجلة كذا ؟ فكيف يقترف ذلك مع انه خليق ان يأتي بشيء ينسب له لو اتكأ على نفسه وفرغ للبحث عن غيرة واخلاص » ! هذا ما قاله الشاعر الرقيق ابان ثورته الغاضبة ، ولو كان غيره مكانه لنفس عن غيظه بلوم عنيف !

والحق اني بعد هذا الموقف اخذت اسال نفسي ، ترى لو احترف الاستاذ العامودي النقد ــ وهذه روحه النبيلة ــ ماذا يكون موقفه مع خصوم رايه من المؤلفين ؟ ان الرجل قارىء مسلح بأحدث ثقافات العصر ، وقد قال الاستاذ عبد القدوس الانصاري صادقا « ان العامودي من الادباء القلة الذين لا يتركون أية مناسبة عالمية تمر ، او اية عاصفة تهب في ارجاء الدنيا او اي حدث كبير يقع الا ويجيل فيه فكره ثم يشرع قلمه فاذا به يحبر ويدبج المقالات التاريخية او الادبية ، واذا به يدمج التوجيه الذي يريد توخيه لمواطنيه ووطنه في طيات مقاله ادماجا سداه ولحمته اللباقة في الاستعراض ، وكل قارىء لما كتب يفطن بطبيعته الى هذا السر ، والى هذا الهدف ، وهو يصل من ذلك الى مبتغاه باسلوب ليس رمزيا وليس صريحا ، انه اسلوب الكاتب القدير في فنه الذي يراعي الاجواء ويفهم اتجاهات الرياح ، ويعرف كيف يسير سفينة بحثه ويوجهها بين التيارات المتضاربة والجو المغبر المكفهر حتى يصل بها آخر الامر الى ساحل السلامة والنجاح ، وهذه الغاية لا يرقى الى ذروتها الا كل كاتب موهوب ! » .

اجل ، لقد سألت نفسي ترى لو احترف الاستاذ العامودي النقد وهذه روحه النبيلة ، وتلك ثقافته البصيرة ماذا عسى ان يكون موقفه مع خصوم رايه من المؤلفين ؟ ثم سمحت الايام ان اعرف الاجابة الدقيقة عن هذا السؤال حين وقعت بين يدي صفحات نقدية هامة سطرها الاستاذ في محبة وانصاف ، فاوجدت سبيلي الى القول عن منزع عف نتساءل عنه ونفتقده في اكثر ما نرى في حلبات التصاول واللجاج ، واحر بنا ان نشير اليه متطلعين !

لقد كان من قدر الاستاذ ان يراس تحرير مجلتين شهريتين ، وان تتوالى عليه احدث المطبوعات ليتكلم عنها في باب الكتب والمؤلفات ، والناقد من غير طراز الاستاذ

العامودي لا يعييه ان يجهر بصوته مهما آلم وانتقص ، ولكن العامودي الناقد شاعر في صميم روحه ، وهو مضطر الى ان يرفق بكل صاحب اثر ادبي اذ قدم للناس جهد ما يستطيع ! وقد ارتضى لنفسه ان يسلك مسلك العرض الموجز مكتفيا بالاشارة العابرة حين تنفتح امامه مآخذ لا يحب ان يفصح عن عوارها للناس ، ولقارئه اذ ذاك اذا ارتفع قريبا من مستواه ان يلمس في مطاوي السطور القليلة بعض ما يرم الكاتب المتسامح من معان ! اما اذا كان الانتاج جيدا دسم المادة فالعامودي الناقد يجول في ميدانه شجاعا غير هياب ، وهي شجاعة المحب الكاشف عن اللوامح ، المحلل للدقائق المفصح عن وجهات الخلاف في صراحة وجلاء ! واي كتاب حي دسم ينأى عن اختلاف النظر في بعض قضاياه ، هنا نجد الانصاف المقدر ، والتسديد المعين .

وسنضرب المثل بما سطره الاستاذ عن كتابي « العناصر النفسية في سياسة العرب » للاستاذ شفيق جبري و « العرب تاريخ موجز » للدكتور فيليب حتي ، حيث اقتنع العامودي بتوفيق الباحثين الكبيرين في اكثر ما اتجها اليه من مقال ، فنشر بساط التحليل الكاشف في صفحات مجيدة تشرق بالصدق وتعمق بالنظر وتفوح بالود ، فهو يخص كتاب العناصر النفسية بمقالين رائعين يفيض اولهما في تعداد الجديد مما اهتدى اليه المؤلف مستشهدا ببواده ساطعة مما قال ، في حين يتجه المقال الثاني الى مناقشة هادفة تقوم الكتاب ولا تتحيفه بعد تعداد وجوه من محاسنه ، ولا ادل على طريقة العامودي من ان ننقل عنه بعض نقداته حين عارض الاستاذ جبري في رايه عن جنوح عمر الى الشورى في اختيار خليفته مقارنا بمعاوية حين اختار يزيد وليا لعهده نائيا عن مسلك عمر ! حيث قال العامودي في دقة وتمحيص .

« ونحن نرى ان مثل هذه المقارنة بين عمر وبين معاوية في جنوح عمر الى عدم الاستخلاف وتركه امر تعيين الخليفة من بعده شورى للمسلمين وذهاب معاوية الى عكس هذا التصرف ، نقول ان هذه المقارنة لا محل لها هنا لان وجه الشبه فيها معدوم ، اذ يوجد فارق كبير – وهذا ما نعتقد ان الاستاذ جبري نفسه لا يشك فيه – بين العهدين ، عهد عمر وعهد معاوية فليس الفارق هنا فارقا بين سياسة عمر من حيث هي ، وسياسة معاوية من حيث هي ، وانما الصحيح ان نقول ان الفارق بين السياستين منشؤه الفارق بين العصرين ، الفارق بين عصر الراشدين وعصر الامويين .

وقد كان من السهل على المؤلف الحصيف ان يقرب المسافة ، فيدعم في تحبيد الخلاف بما فعله الخليفة الاول وهنا قد تكون المقارنة اقرب الى الصواب ؟ ولكن ما رايه في ان موقف سيدنا عمر في هذا الصدد كان يختلف كل الاختلاف عن موقف الصديق ايضا وما رايه اذا اوردنا الدليل على ان التصرف الذي تصرفه عمر رضي الله عنه في عدم الاستخلاف انما كان ناشئا عن خبرة نفسية . وليس هو بالغلطة النفسية ، وما رايه اذا كان هذا الدليل من كلام الاستاذ نفسه » .

ثم ينقل الاستاذ العامودي من كلام المؤلف ما يدعم به وجه الحقيقة ليخلص منه الى قوله الرائع :

« لو كان هذا التصرف من عمر غلطة نفسية لكنا رأينا من نتائجه غير ما رأينا من اتفاق كلمة المسلمين حين اعلن عبد الرحمن بن عوف في اليوم الثالث من هذه الايام انتخاب سيدنا عثمان من بين الاقطاب .

فاذا قال قائل هنا عما حدث في عهد عثمان رضي الله عنه مما ادى الى الفتنة الكبرى فلا يمكن ان نقول ان هذا من نتائج الشورى التي ارادها عمر وانما الحق ان نقول ان ما وقع في عهد الخليفة الثالث انما كان نتيجة عوامل اخرى لا علاقة لها البتة بالشورى ، فالنتيجة المتوخاة من الشورى قد حصلت على اتمها بمجرد ان اتفق المسلمون على انتخاب الخليفة الجديد » .

هذه وجهة صائبة جلاها الاستاذ في نقده المفعم بالتقدير ، وله نظائرها الكثيرة فيما يتعرض له بالنظر والتمحيص وحديثه عن مؤلف الاستاذ فيليب حتي يجمل محاسن الكتاب في مزايا كثيرة اذ انه في رايه قد اوفى على الغاية في تدوينه لاهم الاحداث البارزة ذات الاثر في تطور الحياة العربية والحضارة الاسلامية وبخاصة ما كان منها متصلا بالنواحي الاجتماعية والثقافية .. ثم في اسلوبه العلمي والادبي معا وفي روح الانصاف المتجلية في معظم ما يسوقه المؤلف من خلال سرده للحوادث وتحليله للرجال .

وبعد ان اضاء العامودي جوانب هامة من وثبات الكاتب ثنى بنقده في نصفة وتقدير فنقل قوله عن الحسن بن علي انه لم يكن رجل الموقف بعد ابيه اذ كان يميل الى البذخ والترف لا الى الحكم والادارة مكتفيا بهبة سنوية منحها معاوية اياه ، ليعقب عليه بقوله النافذ .

« لم يكن تنازل الحسن عن الخلافة ناجما عما وصفه به المؤلف من الميل الى الترف والبذخ ومعروف انه قد سبق الى مثل هذا القول بعض المستشرقين فمن اين لهم هذا ؟ ان موقف الحسن قد املاه خوفه ان تسفك دماء المسلمين ولا شيء غير ذلك ، فمن المفهوم ان الناس قد بايعوا الحسن بعد مقتل ابيه الامام فالتف حوله الجيش وبايعه اربعون الف او يزيدون على ان يموتوا دونه فيأبى ان يقاتل ، لماذا ؟ لانه رأى – وما اصح ما رأى – انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى ، فضن بدماء المسلمين ان تسفك وقال في صريح كلامه « كرهت ان اقتلكم على الملك » افيصح ان يقال بعد هذا ان موقف الحسن بن علي من قضية الخلافة كان باعثه الميل الى البذخ والترف كما قال الاستاذ فيليب حتي متابعا بعض

أغنية الميلاد الجديد

الليلة تأتي بعد الليلة ..
أضواء الليلة تأتي في استحياء ..
تعتصر خريفي ...
تنشطر الاطياف السبعة ..
في اغماء ..
في لقيا خوف ...
فاولي منهزما ..
مشطورا ظلي ...
وبحد السيف !

ليلة عرسي قالت أمي ، في صمت :
« الفارس يركب فرسه !
ويغني اغنية اللقيا ..
للمحبوبة ..
فالليلة ..
يهب الفارس للموعودة نفسه »
ما كانت تدري أني ..
ساغني ..
.. اغنية الموت !!

الليلة تأتي بعد الليلة ..
أضواء الليلة تأتي في استعلاء
تعتصر خريفي ..
تنشطر الاطياف السبعة
والكلمات المتقعات
فاذا بي أبصر ظلي بشرا غيري ..
يبحث عن حب آت .

القاهرة حسين علي محمد

المستشرقين » .

ذلك نقد يصدر عن حب وانصاف ، وكم للعامودي في ذلك من نظائر واشباه .

ان انسانية محمد سعيد العامودي الناقد تتخلل كل سطر يخطه قلمه العف الرصين ، بل ان هذه الانسانية الكبيرة تحتم عليه ان يتكلم في موضوعات مقفرة لا تسمح لصاحبها بالانطلاق ، لان ضيقها المادي يمنع القدم ان تتسلل كما تريد اذ تظل تتردد في شبه دائرة مقفلة ، وقد لمست ذلك وانا اطالع بحثه المنصف عن شاعر من شعراء القرن الثالث عشر هو عبد الواحد الجوهري الاشرم ! فماذا عسى ان يكون هذا الشاعر ! انه وليد زمان ومكان لا يسمحان اطلاقا بنبوغ شاعر ، فالتعليم منحدر ، والثقافة بعيدة ، والجهل ضارب بجرانه في كل واد ! ولكن هذا النبات الضعيف الهش قد استطاع ان يفلق الصخر لتظهر خضرته على السطح ، والخضرة هي مقدار توفيقه واصابته فلا جذع ينمو ولا غصن يثمر ! لقد وجد عبد الواحد نفسه ممتعا بسليقة تعرف الوزن الصحيح من الوزن المختل ، وتقدر على محاكاة ما تسمع من الابيات القديمة التي ينحدر اكثرها من عصور الانحطاط ، واستطاع مع هذا الجدب الموحش ان يقول شيئا في الغزل ولو كان صناعيا ، ثم سارت له ابيات تتكون منها بعض القصائد ، وانس من جمهوره المتواضع من يسمع له ويدون بعض ما ينظم حتى جرى له ذكر بالشعر ، وهو ذكر يبهج حين يمضي في الناس دون تحقيق ودراسة !

وكان القدر رحيما بعبد الواحد فاذن للعامودي ان يطالع بعض ما نظم في عصره المتخلف ! والناقد الانسان في العامودي لا يجيز لنفسه ان ينسى ظهور هذا البريق الخاطف في ليل الجمود ، ليكن بريقا مبتورا لا ينكشف به ظلام ، ولكنه جهد يعبر عن ظاهرة تتطلب التسجيل والاعور ملك في دولة العميان كما يقول المثل العامي فلماذا لا يكون عبد الواحد هذا الملك في زمان الجهالة والركاكة والاسفاف ، انه استطاع ان يقلد في وزن صحيح وحسبه ذلك عند العامودي فلا بد ان يقف عنده وقفة انسانية توفيه حقه دون تطفيف .

ان اهم ما يحفظ للعامودي مكانه في دنيا الادب هو فهمه الاصيل لرسالة الاديب في الحياة ، فهو يرى ان صاحب القلم كاتبا او شاعرا او ناقدا ملتزم بنمط من السلوك الانساني الرائع يضعه في صف القيادة الواعية للركب انساني ـ فالاديب في رايه ـ يجب ان يكون مثالي المسلك نزيه الغرض نائيا عن جواذب الهبوط والاسفاف ، وهو ما طبقه العامودي على نفسه فتراءى لعارفيه على القرب كما تراءى لقارئيه على البعد انسانا ممتاز الشخصية نظيف الخلق طويل الاناة !

اقول ذلك لاني رسمت له صورة في نفسي قبل ان اراه فلما اسعدني الحظ بلقائه رايت المعاني التجريدية لدي تتجسد في اهاب انسان وديع ، والمثل الادبية تترقرق في حديث ناقد انيس ! وهذا راي لا اقوله وحدي بل اني اطالع الجزء الثاني من « المرصاد » فاجد مؤلفه الاستاذ ابراهيم هاشم الفلالي يقول في اخلاص ص ٢٦ :

النضوج في التفكير والاستقامة في الخلق والوقار في السمت والوضوح في البيان تلك هي شمائل الاستاذ العامودي ! ثم يمضي الكاتب ليتحدث عن الرجل في صفحات جياد ادعو القارىء الى مطالعتها ليجد نمطا بديعا من الادباء يعيد ثقته في الفضيلة والفضلاء .

الفيوم ـ دار المعلمات محمد رجب البيومي

حول «دراسة في مصادر الادب»

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

الكتاب تاليف الدكتور طاهر احمد مكي – كليـة العلوم ، جامعـة القاهرة ، ج١ ، ط١ (دار المعارف بمصر مطابع سجل العرب) مايـو ١٩٦٨ (كانه الحلقة الاولى من سلسلة بعنوان : المكتبة الادبية) .

جاء في المقدمة : « ان التراث الثقافي العربي واسع ، والالمام بـه ومعرفة محتواه احدى المشكلات الكبرى التي تواجه الدارسين ، ناشئة ومكتملين ...

اختارني مجلس جامعة القاهرة مدرسا بقسم الدراسات الادبيـة بكلية دار العلوم ، فوجدت الفرصة سانحة لتحقيق أمل راودني ... فاقترحت على اساتذتي وزملائي في القسم ان تدرس المكتبة العربية في عام واحد محاضرات متكاملة فيما بينها فاستجابوا للاقتراح مشكورين فكان ما يمكن ان اسميـه مادة « مصادر الادب » ووقع علـي عبء تدريسها ...

لست أزعم لهذه المحاولة الكمال ، فهي كاي عمل رائد لها صعابها ومخاطرها ، ولكني آمل ان اكون قد بدأت بها خطوة ...

ومن هنا كان اهتمامي بتتبع طبعات كل كتاب ، والتعريف بما كان منها جيدا ...

انني سوف اكون سعيدا باي ملاحظة تعين على تقويم هذا العمل ، واصلاح ما قد يكون داخله من نقص او خطأ ، او تسهم في البلوغ بـه حد الكمال ... » .

وقد ألمت بالكتاب فعنت ملاحظات لا يخلو تسجيلها من فائدة ؟ وها هي ذي اهمها :

١ – لم يعد الحديث عن « مصادر الادب » عملا رائدا . ويمكـن ان نذكر – على سبيل المثال : « نظرة تاريخية في حركة التاليف عنـد العرب » للدكتور امجد الطرابلسي وقد صدرت طبعته الاولى سنـة ١٩٥٤ .

وقد يكون هذا الكتاب أحق بكلمة الريادة في المعنى الذي نحـن بصدده .

٢ – الكتاب ، كتاب الدكتور طاهر احمد مكي ، في دراسة مصادر الادب العربي ، « والتاريخ » اللازم لهذه المصادر ولزمانها ولمؤلفيها هو التاريخ الهجري ومن هنا أصبح لا بد من ذكر هذا التاريخ ولا يغنـي عنه التاريخ الميلادي منفردا كما يفعل المؤلف احيانا :

أ – ص ٧٥ ، أول مصنع للورق في بغداد عام ٧٩٤ م .

ب – ص ٧٧ ، انشأ الخليفة المأمون عام ٨٣٠ م أول معهد للتعليم العالي في الاسلام .

ج – ص ٧٨ ، أسس الوزير السلجوقي نظام الملك « المدرسة النظامية » في بغداد عام ١٠٦٥ م .

د – تنسب المستنصرية الى الخليفة المستنصر ، وقد أسسها في بغداد عام ١٢٣٤ م .

هـ – ص ٨٠ ، المبارك بن المبارك المتوفي عام ١٢١٥ م .

و – ص ٨١ ، وكان الخطيب البغـدادي ، المؤرخ المشهـور (١٠٠٢ – ١٠٧١ م) ...

ز – ص ٨٨ ، ويذكر اليعقوبي المؤرخ ان بغداد على ايامه عـام ٨٩١ م .

ح – ص ٢٧٦ – ٢٨٠ ، ابن عبد ربه ... ولد في قرطبة عـام ٨٦٠ م ... مات بالفالج عام ٩٤٠ م ، ...

٣ – ص ٣٠ « كتب الاصمعي كثيرا ... وله مجموعة مختارة مـن الشعر القديم تحمل اسمه « الاصمعيات » ، وقـد طبعت اخيرا ، وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة » .

قول المؤلف « اخيرا » غير دقيق ، لان الـذي يفهـم منـه ان الاصمعيات لم تطبع الا اخيرا ، ومعنى اخيرا : في الايام او السنوات الاخيرة ، وهذا غير صحيح ، لان « الاصمعيات » طبعت قبل هذا ، ثم ان الخبر الذي أورده المؤلف يدل القارىء على ان الاصمعيات لم تصدر الا عن دار المعارف وهذا غير صحيح ايضا .

اجل ، لقـد طبعت الاصمعيات في ليبسك سنـة ١٩٠٢ ... وصدرت عن دار المعارف بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد عبد السلام هارون في طبعتين ، تشير مقدمة الاولى الى سنة ١٩٥٧ ، اما الثانيـة ففي سنة ١٩٦٤ .

٤ – ص ٣١ « حماد الراوية ... كان ... شاعرا ممتازا » .

قال حماد شعرا ، اما أنه كان شاعرا ممتازا ففي المسألة اكثر من نظر ، وليس من شان كتاب يدرس المصادر ان يطلق حكما يمكن ان يعد شخصيا ، والا فقد يكون الاولى ان يعد حماد شاعرا ضعيفا ... واذا كان « حماد الراوية » شاعرا ممتازا فماذا نقول عـن بشار او ابي نواس ...

ومن المناسب ان نذكر ان استاذنا الدكتور محمـد مهدي البصير عرض في كتابه « بعث الشعر الجاهلي » لحماد الراوية ص ٩٣ – ٩٩ فرأى فيه « شويعرا ... » .

٥ – ص ٣٤ « ابو عمر الشيباني ... » الصحيح : ابو عمرو ..

٦ – ص ٣٤ « ابن الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم ت ٢٧١هـ – ٨٨٥ م » .

الصحيح انه توفي عام ٣٢٧ (او ٣٢٨) ، اما عام ٢٧١ فهـو تاريخ ولادته .

٧ – ص ٧٨ « المدرسة النظامية في بغداد عام ١٠٦٥ ... يدرس فيها القرآن والحديث والفقه طبقا للمذهب الشافعي ، وعلم اللغـة والادب والجغرافية والتاريخ والعمار والفلك والرياضيات والكيميـاء والموسيقى والجبر ... وعاشت بعد غزوات التتر الاخيرة ، ثم اندمجت في معهد آخر هو المستنصرية » .

بهذه الاحكام حاجة الى التحقيق وكنت أتمنى لـو ان المؤلف دل على انه رجع في تقديمها الى المصادر .

٨ – ص ٨٠ « الصفدي في كتابه نكت الهميان في نكت العميان » .

كذا ورد بفتح الهاء وسكون الميم ، والصحيح بكسر الهاء ، والكتاب مطبوع سنة ١٩١١ ، ومشكول بكسر الهاء .

٩ – ص ٨٠ « وقد اورد صلاح الدين الصفدي في كتابـه « نكت الهميان في نكت العميان » رأي ياقوت في استاذه المبارك بن المبارك ، المتوفي عام ١٢١٥ م ، وكان استاذ النحو في مدرسة النظامية ، فقـال عنه انه « قليل الحظ من التلاميذ ... فاذا جلس للدرس قطع اكثـر اوقاته بالاخبار والحكايات وانشاد الاشعار حتى يسام الطالب منـه وينصرف عنه وهو ضجر ، وينقم عليه ذلك ، رغم انه كان يجيد عـددا من اللغات الاجنبية من بينها التركية والفارسية والرومية والحبشية والزنجية ، وكان اذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليـه المعنى العربـي فهمه اياه بالعجمية » .

أ – « وكان استاذ النحو » تعبير حديث .

ب – « في مدرسة النظامية » ، في المدرسة النظامية .

ج – لم نذكر تاريخ وفاة المبارك بن المبارك بالميلادي وحده ؟ وهو معروف بالهجري في مصادره (الصفدي ، ياقوت ...) أي عام ٦١٢هـ.

د – يدل وضع الدكتور طاهر احمد مكي القول بين اقواس على

انه استقاه من مصدره (نكت الهميان) مباشرة ، ولكن لغة الخبر لا تدل على ذلك ، فقد وردت فيه « اللغات الاجنبية » وهو استعمال حديث ...

هـ ـ رجعنا الى الصفدي في نكت الهميان فرأيناه يقول عن المبارك بن المبارك « تولى تدريس النحو بالنظامية سنين ... قليل الحظ من التلامذة ... وكان يعرف التركي والفارسي والرومي والحبشي والزنجي ... وكان اذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربي فهمه اياه بالعجمية » .

وفي اختلاف الروايتين ما يدل على ان المؤلف لم يرجع الى الصفدي مباشرة ، وعلى ان نص الصفدي هو الاسلم والادق .

و ـ ما لنا وللصفدي اذا كان المصدر الذي نقل عنه الصفدي ـ وهو ياقوت في معجم الادباء ـ موجودا ميسورا .

ولنلاحظ ان الكلمات : « وكان ... اوقاته ... يعرف بالتركي» من رواية الصفدي عن ياقوت ، جاءت لدى ياقوت : « يقطع اكثر وقته ... فكان يحسن بكل لغة من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والارمنية والزنجية » وان « فهمه اياه بالعجمية » لدى الصفدي ، وردت لدى ياقوت : « فهمه اياه بالعجمية على لسانه ».

(ينظر معجم الادباء ط. دار المامون ١٧ : ٥٩ ـ ٦٠) .

١٠ ـ ص ٨٧ « وقد أورد المستشرق السويسري آدم متز في كتابه ... » صحيح السويسري : الالماني .

١١ ـ ص ٩٢ « ويقص ياقوت ان شيخه مبارك بن المبارك استاذ النحو في مدرسة النظامية لام أمين احدى خزائن الكتب ، لانه أتلف نسخة من كتاب المعري في نقد القرآن » .

أ ـ قد تدل لغة الخبر على ان المؤلف لم يرجع مباشرة الى ياقوت ...

ب ـ مبارك بن المبارك : المبارك بن المبارك (المعروف بالوجيه)..

جـ ـ أمين : خازن .

د ـ نقد القرآن : نقض القرآن .

هـ ـ ذكر المؤلف الخبر ليستدل به على ان « الكتاب والادباء والمفكرين » كانوا « يتمتعون ، بصفة عامة ، بحرية فكرية غير محدودة» ولكننا لو عدنا الى ياقوت ١٧ : ٦٥ ـ ٦٦ واكملنا قراءة الخبر وروايته وجدنا الدليل ضعيفا ، وربما دل على خلاف ما يذهب اليه الدكتور طاهر احمد مكي .

١٢ ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ « وعندما اقتحم هولاكو مدينة بغداد عام ٦٥٦ ـ ١٢٥٨ ، اباح عاصمة بني العباس اربعين يوما ... فالقيت مئات الالوف من المخطوطات في نهر دجلة ... » .

كنا نود لو ان الاستاذ المؤلف اسند القول الى مصادره ونظر فيه مليا ...

١٣ ـ ص ١٠٠ « وصلتنا دون تعليق على النص » : وصلت الينا ... ومثلها ص ١٦٣ ، ص ٢٢٥ .

١٤ ـ هـ ص ١٠٠ « اعتمدنا The Technique and Approach of Muslim Scholarship تاليف فرانز روزنتال».

الكتاب منقول الى العربية بترجمة الدكتور أنيس فريحة ومراجعة الدكتور وليد عرفات . بيروت ، دار الريحاني ١٩٦١ ـ وعنوانه : مناهج العلماء المسلمين .

١٥ ـ ص ١٣٢ : « دعبل بن علي بن رزين المتوفي ٢٢١ ـ ٨٣٥م» .
الصحيح : المتوفى ٢٤٦ ـ ٨٦٠ .

١٦ ـ ص ١٣٢ : « وبقيت « فحولة الشعراء » للاصمعي مخطوطة»

لم تبق فحولة الشعراء مخطوطة فقد طبعت مرتين الاولى في اوربة عام ١٩١١ (وللفائدة نذكر ان الدكتور صلاح الدين المنجد قد اعاد نشر هذه الطبعة في بيروت ١٩٧١) والثانية في القاهرة سنة ١٩٥٣ .

١٧ ـ ص ١٣٢ ـ ٣ « اما نسب ابن سلام فهو ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سلام الجمحي ، مولى قدامة بن مظعون الجمحي ، فهو جمحي بالولاء . ولد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ـ ٧٥٦ م ، وعاش حياته في بغداد ، وتوفي بها عن قريب من تسعين عاما » .

أ ـ صحيح عبيد الله بن سلام : عبيد الله بن سالم .

ب ـ ليس محمد بن سلام مولى قدامة ، وانما المولى احد اجداده ...

جـ ـ « ولد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ... » هذا التاريخ تقريبي لانه لم يذكره لنا احد ـ في المصادر التي وصلت الينا تاريخا لولادة محمد بن سلام .

د ـ « عاش حياته في بغداد وتوفي بها ... » لم يعش محمد بن سلام « حياته » في بغداد ، وانما عاش السنوات الاخيرة (العشر) وهذا واضح في رواية المؤلف نفسه التي نقلها عن ياقوت عن الحسين بن فهم ان محمد بن سلام قدم عليهم وقد تجاوز الثمانين من عمره ـ وعليهم تعني : عليهم في بغداد .

١٨ ـ ص ١٣٣ « وروى عنه (أي عن ابن سلام علماء عصره احمد بن حنبل) » .

لا صحة لهذا وهو غير متسق زمنان وان ورد في عدد محدود جدا من المصادر . ان الذي روى عن ابن سلام هو عبد الله بن احمد بن حنبل .

١٦ ـ ص ١٣٤ «... وله (اي لمحمد بن سلام) غريب القرآن...»

وليس لهذا صحة ، لان غريب القرآن من مؤلفاتالقاسم بن سلام.

٢٠ ـ ص ١٣٤ « ترى هل ألف ابن سلام كل هذه الكتب ام ان بعضها كان فصولا ...؟ »

... تكسر همزة ان بعد أم .

٢١ ـ ص ١٣٥ « لم يطبع (طبقات الشعراء) في غير مصر من العالم العربي » .

للفائدة نذكر ان الطبعة الاوربية قد أفستت في بيروت (سنة ١٩٦٨) .

٢٢ ـ ص ١٧٣ « لكن استطراد الجاحظ وترسله اذ اخذ بلب القارىء المستمتع ، فانه في الوقت نفسه ، يجعل مهمة الباحث عسيرة ... » .

يفهم من سياق الكلام ان المقصود بالترسل هنا : الاسترسال ، وارجو الا يكون ذلك هكذا ، لان الترسل صار مصطلحا يعني : الكتابة ...

٢٣ ـ ص ٢٠١ « عبد الصمد بن المعذل » ـ بكسر الذال .
الصحيح أن ابن المعذل ـ بفتح الذال .

٢٤ ـ هـ ٢٠٢ « التنبيهات على اغاليط الرواة » لابي القاسم علي بن حمزة ، مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وهي ناقصة ، وبها خروم، وتوجد تحت رقم ٥٠٢ لغة » .

طبعت هذه المخطوطة نفسها بالقاهرة ـ دار المعارف سنة ١٩٦٧ في الحلقة الحادية والاربعين من سلسلة ذخائرالعرب باسم : « المنقوص والممدود » للفراء و « التنبيهات » لعلي بن حمزة ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي .

٢٥ ـ ص ٢٠٥ « طبع الكامل (للمبرد) لاول مرة في اوربا ... عام ١٨٦٤ ... ثم طبع في الاستانة ، ونشرته المطبعة الخيرية ... ومطبعة التقدم ... وتوالى بعد ذلك طبعه على نحو تجاري ، ثم ظهر في طبعة علمية محققة ، قام على ضبط نصها الاستاذان محمد ابو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاته، ونشرت في مجلدين عام ١٩٥٦ .

وهذه الطبعات ماخوذة كلها عن المخطوطة الوحيدة التي أشرنا اليها من قبل (ص ١٩٠ : المخطوطة الوحيدة التي اعرفها لكتاب « الكامل » توجد في مكتبة دير الاسكوريال ، ويرجع تاريخها الى

عام ٥١٢ هـ ...) .

أ ـ هناك طبعة قبل طبعة محمد ابو الفضل ابراهيم لا تسمى تجارية، صدر الجزء الاول بتحقيق الدكتور زكي مبارك (مطبعة مصطفى البابي ...) ثم اكملها محقق عالم هو احمد محمد شاكر فاخرج الجزءين الآخرين عام ١٩٣٧ وذيلت هذه الطبعة ـ فيما بعد ـ بـ ١٤ فهرسا مهما . عملها سيد كيلاني (ط١ ، ١٩٥٦) .

مثل هذه الطبعة جديرة بالذكر في تاريخ طبعات الكامل .

ب ـ نلاحظ في الطبعة التي امتدحها المؤلف :

١ ـ ان الاستاذين ضبطا ... الجزئين الاولين .

٢ ـ لم يظهر اسم السيد شحاته على الجزئين : الثالث والرابع.

٣ ـ ومعنى هذا ان الكامل في هذه الطبعة جاء في اربعة اجزاء .

جـ ـ لا يمكن ان تكون هذه الطبعات كلها ماخوذة عن المخطوطة الوحيدة التي يعرفها المؤلف ، وذلك :

١ ـ كانت الطبعة الاوربية على اكثر من مخطوطة على ما ذكر احمد محمد شاكر في مقدمته لطبعة الجزء الثاني : « ... وقد اعتمد هو (اي رايت) على اصول مخطوطة نفيسة ... ثم ان المستشرق ... وجد نسخا اخرى بعد طبع الكامل فنشر مجلدا ثانيا فيه مقارنتها بالنسخ الاولى » .

٢ ـ المطبوعات التجارية وغير التجارية لم تعتمد المخطوطة وانما اعتمدت الاوربية ، او اعتمدت مطبوعة مثلها .

٢٦ ـ ص ٢١٢ : « ابن قتيبة ، ولد في بغداد او الكوفة على خلاف عام ٢١٣ ـ ٨٢٨ لاب ايراني اصله من مرو ... » .

كلمة ايراني حديثة الاستعمال والذي كان يقال : لاب فارسي ..

٢٧ ـ ص ٢١٩ « ندين لابن سلام الجمحي بمعلوماتنا الواردة عن الانتحال في الشعر العربي ... » .

صحيح الانتحال : النحل ـ اذا اردنا الدقة ، اما ابن سلام نفسه فقد سماه الشعر المفتعل الموضوع .

٢٨ ـ ص ٢٤٤ ، ابو الفرج الاصفهاني ... « مقامه عند الوزير المهلبي ، لم يجعل منه شعوبيا ، فبقي على ولائه للعرب » .

أ ـ لم يجعل المقام عند المهلبي المرء شعوبيا ؟ ان هذا لا يكون بأية حال من الاحوال ، وهل صار أبو اسحاق الصابي مثلا شعوبيا ؟

ب ـ ثم ان المهلبي عربي فهو أبو محمد الحسن بن محمد بن هرون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي .

جـ ـ ولم لا يبقى ابو الفرج على ولائه للعرب وهو عربي قرشي.؟

الخلاصة ان راي المؤلف غير وارد ولا سبب يدعو اليه .

٢٧ ـ ص ٢٤٦ ـ « .. جعل .. ابن خلدون (الاغاني) احد اركان الادب الاربعة ... » .

الصحيح ان ابن خلدون لم يجعله كذلك ولم ترد لديه لفظة « اركان » وانما قال : « وسمعت من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن (أي الادب) اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها».

٢٩ ـ ص ٢٥٥ « ... طبع الاغاني ... بمطبعة بولاق في عشرين جزءا ... اضاف اليها المستشرق برونوف الجزء الواحد والعشرين» .

صحيح اسم المستشرق برونو .

٣٠ ـ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ اختصر « القاضي جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المعروف بابن واصل الحموي ... (كتاب الاغاني) وأسماه « تجريد الاغاني من ذكر المثالث والمثاني » ... ولدينا مخطوطة لهذا الكتاب ... وقد قامت « دار التحرير » بالقاهرة بطبع الكتاب منذ اعوام ثلاثة ، في اجزاء عديدة ، قليلة الصفحات تبيعها رخيصة الثمن ، لكنها لم تكن وفية في العنوان الذي اعطته للكتاب فاسمته الاغاني ... » .

لم يتحدث المؤلف عن تجريد الاغاني المطبوع بالقاهرة قبل هذه الطبعة بتحقيق طه حسين والابياري في ستة اجزاء ١٩٥٥ ـ ١٩٦٣ .

٣١ ـ ص ٢٩٨ ، المصادر : « ... ابن الابار ... الالوسي ، محمود شكري : بلوغ الادب في معرفة احوال العرب ، بغداد ، بلا تاريخ » .

أ ـ صحيح « بلوغ الادب » : بلوغ الارب .

ب ـ ذكر المؤلف انه « بلا تاريخ » . ولم يتهيأ لي الوقوف على طبعة بغداد هذه ولكن الكتاب طبع ـ بعد ذلك ـ في القاهرة مرتين ١٩٢٤ ـ ١٣٤٢ ، ١٩٦٢ . وتنص الطبعة الثانية على ان الطبعة الاولى كانت سنة ١٣١٤ ، وكذلك يذكر مؤلفو معجمات المطبوعات مثل سركيس اليان سركيس وكوركيس عواد .

د ـ قسم المؤلف الكتب التي استقى منها معلوماته الى المصادر والمراجع ، ويقصد بالمصادر الكتب القديمة مثل كتب الجاحظ وحاجي خليفة ... وقد وضع كتاب الالوسي في المصادر ، والمعقول ان يوضع مع المراجع مع مؤلفات لويس شيخو ...

٣٢ ـ ص ٣٠٠ ذكر في المراجع « يوسف سركيس. معجم سركيس، طبعة القاهرة ، ١٩٣١ » .

يفهم من هذا ان اسم المرجع : « معجم سركيس » وهذا غير صحيح ، لان اسمه : « معجم المطبوعات العربية والمعربة » طبعة القاهرة ١٩٢٨ .

بغداد ـ كلية الآداب

علي جواد الطاهر

الانتظار

خرجت قبل الطير للحقول
أحمل بعض الخبز .. والبقول
منتظرا ملاكي المرتقب الوصول ،
أريد أن أطعمه طعامي ،
أريد ان أسمعه كلامي ..
أريد أن أقول ......
. . . .
. . . .

وعندما ترتفع الشمس ، وتنشف الاوراق،
ويظهر السراب لامعا
كأعين خضلها البكاء ،
كحد سيف
أفترش الظلال تحت الشجر العقيم
مؤاكلا ، منادما كآبتي
وشهوة الموت التي تلون الآفاق

وتفرغ الظلال من زقزقة الطير ..
ووقع النسم العليل
تحترق الحقول ... !!

حلب

صباح الدين كريدي

اللغة الخالدة

الفصحى تراث الماضي ومجد الحاضر ، بقيت على الدهر ، وسارت مع الزمن ، بحيث اضحت تجمع بين التليد والطارف ، وتربط الناطقين بها باوثق رباط ، وقل ان تلتقي معها في هذا لغة اخرى .

لـي في ظلالـك مسرح ومقيـل   روض اغـن ومنـزل ماهـول
ومعاهد نشر الحياة بهـا الحيا   فالعيش اخضر والنعيـم ظليل
بلد جريت الى المنى في ظلـه   سبحا على اللذات وهـي شكول
ارد المرابـع والمصائف سـادرا   اختـال بـين ظلالها واجـول
فيح اذا نهض القريـر لوصفها   يحلو القريض بوصفها ويطـول
امرابعي والعمر فينان الهوى   ومراد لهـوي والصبا معسول
راقت بهـا كـل العلوم مواردا   تروى بهـن بصائـر وعقـول
ام لنـا في المنجبـات مهادها   دعـم لمجـد بلادهـا واصول
ام اذا درج الوليـد بحجرهـا   فالدين يرعـى والبيان يعـول
للـه در شبيبـة كفلتهـم   ام لنـا في الامهـات بتـول
اخذت علينا منـذ ايـام الصبـا   عهد الكريم وعهدهـا مسؤول
يـا ام عهدك في القلوب موثـق   صدق الوفـاء بحبلـه موصول
الدين عهـدك والمكـارم بيننـا   والعلـم والاداب والتنزيـل
علمتنـا ان الحنيفـة ملـة   لا نهجها وعـر ولا مجهـول
تهدى الى سبل الرشاد اذا هوى   المفتـون بالالحـاد والضليـل
رفعت منـار الحق لا يعيى بـه   عقل ولا ينجاب عنـه دليـل
الا الذيـن تبوأوا وخـم الهـوى   فالنهج اعمـى والمنـاخ وبيـل
نزعوا الى دنس الاباحة فانجلى   للنـاس ذاك المنـزع المرذول
مازوا الجديد من القديم وما دروا   ان الجديد مـن القديـم سليـل
جلبات افـك في مهالك فتنـة   هوجاء كيـد غواتهـا تضليل
دعوى وما ضربوا لنـا مثلا بهـا   يجرى عليه مـن القياس مثيل
واذا الدعاوى لـم يقم بدليلهـا   في العقل فهي على السفاه دليـل
ان كان مـا زعموا قديما ديننا   فليـات منهـم بالجديـد رسول
او علـه لغـة السماء ؟ وانهـا   القـرآن والتـوراة والانجيـل
او ذلك الادب الذي شهدت لـه   في كل شعب بالجمـال عـدول
زخرت بـه ام اللغات ولـم تزل   بعلاه تفتـرع اللغـى وتطـول
وسيعلمون اذا الحقيقة اعرضت   ان الضلالـة جندهـا مخـذول
وترى الجديد يصيح في حجراتهم   يا قوم عن تلـك المهازل زولـوا
ما في القديم معابة ان لـم يكن   فيه عـن السنن السوي عـدول
وذر الجديـد اذا رأيت سبيلـه   عوجا عـن الحق المبين تميـل
لغة الكتاب وديعـة الاحقاب مـ   راث الى العقب النجيب يـؤول
من لم يحط بقديمها لـم يعتقد   علما بمجد العرب وهـو اثيـل

الرياض   **عبد العزيز الربيعي**



عامر محمد بجيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامـر محمد بجيري

***

النــار في فلسطين

يمكن ان يعتبر « اليخت الذهبي » هو المنطلق ، لكثير مـن الموضوعات التي نعالجها في هذا الحصاد ، مما يتصل بتلك الفترة التي صدر فيها .. وان كان لموضوعات اخرى جذور فيما قبله تبدأ مـع بداية عهد الاتصال بالشعر ، في اواخر مرحلة الدراسة الابتدائية ، واوائل مرحلة الدراسة الثانوية ..

وموضوع الشعر الوطني من الموضوعات التـي تضرب جذورها في اعماق هذا الماضي .. فمن اوائل ما قرأت من الشعر الحديث ، ديوان حافظ ابراهيم رحمه الله .. في طبعته القديمة .. وكله مـن الشعر الوطني ، الذي يحارب الاحتلال الاجنبي ، ويستنهض همم الشبـاب الثائر ، ويعالج الموضوعات المتصلة بالحياة الاجتماعية معالجة الثائر على الخرافات ، الداعي الى مواجهة الامور بالعقول الراجحة والبصائر المستنيرة ..

تأثرت بهذا الشعر ، ثم عشت الحياة ذاتها مع الشباب الثائر ، وعبرت عنها بما اشير اليه في حينه .. حتـى كان صدور « اليخت الذهبي » الذي اشتمل على قصائد وطنية مختلفة .. منهـا قصيدة « عودة الحرية » التي قلتها في اسبوع الجامعة ، وهـي عبارة عـن احتفالات اقيمت بمناسبة عودة الاستاذين الكبيرين احمد لطفي السيد، وطه حسين الى الجامعة بعـد غيبة عنها اقتضتها الظروف السياسيـة وقتئذ .. ومنها قصيدة « عند النصب التذكاري » التـي اشار اليها الدكتور زكي مبارك في عرضه البليغ للديوان .. ومنها قصيدة ثالثـة بعنوان « الاتحاد الوطني » .. فقد احسست عقب الحوادث الداميـة التي وقعت في اواخر عام ١٩٣٥ ، وسقط فيها الشهداء مـن طلبـة الجامعة ، ان السياسة الحزبية تغلب النـداء الوطني المجرد عـن الاهواء .. فكتبت هذه القصيدة الداعية الى الاتحاد ، مشيرا الـى « الجبهة الوطنية » التي تألفت يومئذ مـن الزعماء علـى اختلاف مشاربهم ، تحت ضغط من دعوة الشباب لهم الى ضرورة ذلك .. وهذه ابيات منها :

سمـو بالعقـول أم امتهـان ... وشعب غاضـب أم مهرجـان
ونـار اشعلت في كـل صدر ... تثير بـه الحماسة .. أم دخان
حقوق الشعب في قصر الامانـي ... عليه مـن الشبيبـة قهرمان
كـأن خروجهـم بعث رهيب ... يرف علـى حماستـه الحنـان
فما لعبوا وداعي الجد يدعـو ... وهل يجـدي القضية العبـان
ولكـن واجهـوا موتـا شريفـا ... اهـم معـه عناق واحتضـان
دعا الشبان فاتحـدت شيوخ ... هم مـن هيكـل الوطن الكيـان
فكانـوا جبهـة لا ثلم فيهـا ... سيعجـز ان يفككهـا الزمـان
وفلسفة الشعوب هـي اتحاد ... بـه عند الشدائـد يستعـان

وقلت في آخرها مخاطبا الشيوخ :

والاستقلال رائدكـم جميعـا ... تآلفكم عليـه هـو الضمـان
فسيروا نحـوه صفـا بصـف ... لبعضكم علـى البعض ارتكـان
ولا تكلوا الشباب الـى الاماني ... فمـا ذل الشباب ولا استكانوا
ولا يخدعكـم وعـد جميـل ... كأفعى الروض ليس لـه امان
الا وثب الـى العليا اخيـر ... فقـد طـال التوثب والمـران
الاسبق مـع الدنيـا لعـزة ... فقـد طال التاخـر والهوان
نريـد النصر فعـلا لا كلامـا ... فمـا يغني عـن الكف اللسان

فهذه صرخة شاب في العشرين او ما فوقها بقليل الى زعماء وكبراء كانت بيدهم مقاليد الامور في ذلك الزمان .. يقول لهم اننا نريد منكم اعمالا لا اقوالا ..

واذا كان هذا كله متصلا بمصر ، فقد كانت القضية دائما هـي قضية العرب مجتمعين .. وكانت النـار يومئـذ مشتعلة في فلسطين بصورة مزعجة .. ولذلك تحول الشباب شيئا فشيئا الـى الاهتمام بقضية فلسطين ، باعتبارها قلب العروبة ، وقضيتها هي المحور الـذي تدور حوله الاحداث .. واتجه شباب فدائيون الى الجهاد في فلسطين، وعدوا ذلك جهادا مقدسا .. واذكر انني نظمت قصيدة عن « فلسطين الشهيدة » عام ١٩٣٦ .. مطلعها :

فلسطـين الشـهيـدة لا تراعـي ... فـان الصبـر زاد في الدفـاع
ولا تقفي لهـول النار حـيرى ... وان بلغت الـى اقصى ارتفـاع
تطاء حائط المبكـى .. دخانـا ... وماد القدس من طول الدفـاع
ولـن يتراجع الابطال حتـى ... يقط السيف اذنـاب الافاعـى

واذكر ان صديقا قرأت عليه هـذه القصيدة ، فاشار بان اضع « اولاد الافاعي » بدلا من « اذناب الافاعي » .. لان السيد المسيح عليه السلام قد خاطب اليهود بذلك في صرخته المدوية !

على اني فقدت هذه القصيدة ، فلم أجد لهـا اصلا بين اوراق الحصاد .. غير ما علق منها بالذاكرة من هـذه الابيات السابقة .. ولكني في العام التالي ١٩٣٧ شاركت في بعض الاحداث الوطنية ، وكان في مقدمتها دائما الاحتجاج على وعد بلفور المشئوم ، في الثاني مـن نوفمبر .. وقد قبض علي مع زملاء آخرين في هـذا الحادث ، فقضيت بضعة ايام في السجن ، كانت نواة لكتابة قصيدة جديدة بعنوان « مـن وراء القضبان » .. فيها حماسة ، وفيها طرافة .. وهذه ابيات منها:

من اجل عينيك يا مهدي، ويا داري ... القى العقاب.. على تحرير افكارى
وفي سبيلك يا شعبي .. مجازفة ... بالروح، او بشرايين الدم الجارى
نفسي فداؤك ذات البذل من وطن ... اذا جـزاك ببخل كـل خـوار
طالت احاديث قربـان وتضحية ... وقصر الفعل عـن تحقيق معشار
فقمت من ساعتي احمي حمى وطني ... وثرت ادفع عنه وصمة العـار
وما بي الخوف، اني واهب جسدي ... لمجد قومي، وان حرقت بالنـار

ومنهـا :

ومن عجائب دهري محنة عرضت   لاظلم فيها نصيب الباطن الضارى

وعاصف روع الوادي بزمجـرة   كانـــه مقبل في وجـــه اعصار

يسفي الزوابع زرقا كل زوبعـة   كما رد الجن قد القى بأحجـــار

رمى فلسطين خطب قد ألم بهـا   تعاصف جارف بالسيل هـــدار

فاليوم يحلو مسيل النفس تضحية   على صقيل رهيف الحد بتـــار

ومنهـا :

وقام يجمع مني العــزم أهبتــه   ومـــا بكفـي سلاح غيـر اوتارى

ذكرت شعبي بمجد قام يطلبــه   وبالشهيد ، وجرح منـــه فــوار

ما كدت أفعل حتى اسرعت شرط   تحت الظلام ، وحتى طوقت دارى

دخلت سجني لذنب الحق مقترفا   مع الخلاصة من صحب واخيـــار

قسرا علينا، ولولا انصفوا سجنوا   شعبا برمته .. ابنـــاء احــرار

ثم وصفت اقامتي في السجن مع أولئك الاصحاب ، فقلت :

وليلة من ليالي السيل ، قاذفـة   بالويل ، ما بين ارعاد ، وامطـــار

قضيتها في ظلام السجن مفتكـرا   وبات صحبي في لهـــو واسمـــار

أخال قضبانه مــن حولهم قفصا   ضم الرتاج عــلى مأسور أطيار

ويبالون ، بــل هــم في ضجيجهم   وحيثما انزلوهم .. جمع ثـــوار

وهم شباب الحمى في كل نازلــة   يضج من خلف قضبان ، وأسوار

وما زال النفس قويا ، والخيال متدفقا .. فرحت أصور حيـــاة السجن ، واقترح لها العلاج ، واذكر انه ليس هناك ثأر بين السجـين والحاكم ، فلا بد ان يكون السجن دار رعاية لا دار اعنات :

والسجن مدرسة الاجرام قدجمعت   حثالة الخلق ، مــن لص وغــدار

أين الرقابة؟ بل أين العلاج..وما   يحـــول دون جنايـات واوزار

درست في السجن عن قرب مشاكله   وجئت مضطلعا منـــه باخبـــار

مـــا بين مـا ساقه للشر مجتمع   قاس .. وبين اولى الاحكام من ثار

الفرب ينشىء دون السجن مدرسة   وكـــم يـزود ناديهـا باسفـــار

ورحت في النهاية انحي على قوم من ارباب الاقلام ، يدفعهم حب العاجلة الى نسيان مبادئهم ، والوصول الـى اغراضهم بطرق غـير شريفة .. مقارنا بينهم وبين الفدائيين .. وكانت كلمة « الفدائي » في ذلك الحين كلمة جديدة ، ورهيبة .. في قاموس السياسة .. فقلت :

وكل ذي قلـــم .. يبني لشهرته   برج ادعاء .. ويحميـــه بأنصار

شتان بين فدائي .. وذي قلـــم   مـوارب ، همـه ادراك اوطـــار

ومن تمكن من وصف العلاج .ولم   يفعل.. فاجرامه عن سبق اصرار

ثم دار العام دورته ، وطالعتنا مرة اخرى بشائـــر ذلك اليـــوم المشئوم .. يوم وعد بلفور .. وكلمة « بشائر » هنا ، مستعملة تبعـا للاستعمال القرآني ، في قوله تعالى « فبشرهم بعذاب اليم » !. وكـان الزعماء والكبراء من العرب قد دعوا الى مؤتمر عـــام لبحث القضيـة الفلسطينية ، يعقد بسراي آل لطف الله بالجزيرة .. وهـــو قصـر تاريخي كان يملكه اسماعيل صديق المفتش ، في عهد الخديو الاسبـق اسماعيل .. وذهبت لاشهد هذا الحفل الجليل والمؤتمر العربي الكبير، مع فريق من الزملاء اذكر منهـم الاستاذين عبـــد العزيز الشوربجي (نقيب المحامين السابق فيما بعد) ، وحسن وصفي النشار المحامي.. واجلسني النشار الى جانب صديقه الذي ترك كلية الحقوق ، ليلتحق بكلية اركان الحرب ، ولم ادر يومئذ ان هذه الجلسة تاريخية : ولكني لا انسى ما احسسته في شخصية هذا الجار من شهامة ونبل ، وقـــد راح يحمد مسلكي الذي رآه يجنح الى الجد والهدوء والانصراف عـن العبث .. وعلم في جلستنا انني كتبت قصيدة عـــن قضية فلسطين ، فاخذها مني وقرأ ابياتها الاولى ، ثم هم بتقديمها الى لجنة الاحتفال ، كما دعا الزميل النشار ليقوم بذلك ، ولكني شكرته ، واخبرته انـنـي اعددتها لالقائها في مؤتمر آخر ، هو مؤتمر الطلبة الذي يقام بعد ايـام في قاعة الاحتفالات بالجامعة .. وفي هذا المؤتمر الثاني بالجامعة القيت القصيدة ، كما تحدث الزميل الشوربجي .. وسرعان ما جاء امر مـن وزير الداخلية .. بفصل الطلاب الذين خطبوا في هذا الحفل .. واذا بي اواجه قرارا من وزير الداخلية ، بفصلي من الجامعة ...

اما القصيدة الجديدة ، فكانت همزية .. وقد بنيتها على قافية مستحدثة ، اعدها غير مسبوقة .. ذلك انني بنيتها على الآية الكريمة (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) .. لما وجدته فيها مـــن مطابقة لبحـر الكامل تسمح بتضمينها .. وهي قريبة من لزوم ما لا يلزم في قافيتها ، لالتزام اربعة احرف في رويها ، هي الالف والهمزة والهاء والميـــم .. ومطلعها ، والاشارة الى الشهداء :

في الخلد اسمع يا كرام نداءهم   وارى عـــلى شرفاته شهداءهـم

فارى بدورهـــم الوضاء مقطبـا   منها الجبين .. فاي امر ساءهم

ومنهـا :

ان كنت تجهل ما اثار شجونهـم   فانظر لقـــوم مزقـــوا حلفاءهم

يـــا طالما وعـــد الحليف رجالهم   واليوم يمكـــن منهم اعداءهـــم

وللتاريخ ، اشرح هذين البيتين .. فالاول يشير الى ما كان يفعله هتلر يومئذ ، من اكتساح الدول الاوربية المجاورة لالمانيا ، مثل النمسا، وتشكوسلوفاكيا .. وغيرها .. بعد ان يعقد معهـــا معاهدات الصداقة وحسن الجوار وعدم الاعتداء .. والثاني يشير الى وعد حكومة الانتداب الانجليزية في فلسطين للعرب بالمحافظة على ديارهم واموالهم ، ثم تمكين اليهود من كل ذلك في النهاية ..

ومن القصيدة ، والضمير للشهداء ايضا :

لما رنوا مـــن فوق رابية السما   وجدوا صبيحة الاجتماع جزاءهـم

في فتيـــة نجب يلبون النـــدا   كم حققوا لذوي الرجاء رجاءهم

صرخت فلسطين الشهيدة صرخـة   ذات السيوف، فمزقت احشاءهم

كم مرة في الشرق يصرخ اهلـــه   الـمـــا ، فتبتلع الرياح نداءهـم

لو يسمعون لاعذروا مـــن انذروا   يا ليتهم قد اسمعوا خصماءهـم

ولـــو انهـــم سمعوهم لتبينـــوا   (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) ..

وتنتهي القصيدة التي بلغت الخمسين بيتا ، بالدعوة الى الوحدة العربية .. وبالتذكير بمأساة فلسطين ، وبحقوق شعب فلسطين المهدرة:

اليوم لطف الله .. مـــد ظلاله   فيهم ، ووسع بالرضى افياءهـم

وتذكروا شعبـــا كأزهار الربـــى   قد قاربوا برحى القتال فناءهـم

يبفوها .. عـــدلا ، وانسانيـــة   ويود او يجـــد الورى رحماءهم

هـــم يطلبون سماءهم لتظلهـــم   أرأيت قومـــا يحرمون سماءهـم

واقيم في التاسع من يناير عام ١٩٣٩ ، بحي جاردن ستي بالقاهرة، احتفال لتكريم زعماء فلسطين ، الذين كانوا منفيين في جزيرة سيشل.. المرحوم احمد حلمي وصحبه .. ودعيت لالقاء قصيدة في هذا الحفل ، الذي شهده الكبراء من الشخصيات العربية .. اذكـــر منهم من مصر الاستاذ عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وقتئـــذ ، والدكتور محمود عزمي استاذي في الصحافة .. رحمهما الله .. وكان اول ما طرق ذهني وانا اكتب هذه القصيدة الربط بين نفي الزعمـــاء الى سيشل ، ونفي الزعيم سعد زغلول وصحبه الى نفس الجزيرة في ثورة مصر عام ١٩١٩ .. وهذه ايضا ابيات من القصيدة :

قـــد آن لحنك للضحايا دائمـــا   يا شعر ، فهـــو اليوم للابطـــال

وازمرة في الشرق اضحت رمـزه   هـي في الرجولة مضرب الامثـال

صمدت لاحداث الزمان ونفـــرت   للحرب ، يـــوم تطاحن ونـــزال

أسد على الفابـات بـات زئيرهـــا   لهبا ، يثـيـر حماسة الاشبـــال

ليست تبالي بالسهام تنوشهـــا   حتـــى تهـــز جوانب الادغـــال

ومنهـا :

سيشيل ، دار المبعدين تعلمـــي   مـــن كـــل جـر للعلى ميـــال

قد ابعدوا زمنا ، فباتت روحهـــم   كالنار وهي تـــدب في الاوصال

صخر الجزيرة والفياض شواهد   والنار ذات الوقـــد والاشعـــال

بالامس كنـــت لمصر دار تطلـــع   وكذاك أنت لكـل شعب غـــال

لـــمـا مشى متاخـــروا ابطالنـــا   عرفـــوا مآثـــر سابق الابطـــال

كل الجهود مدى السنين توحدت والحادثات تجول كل مجال
تدعو الشعوب لوحدة قومية عربية الآلام ، والآمال

ومنها ، وهي لمحة جديدة بالنظر الى هذا الضيف الثقيل ، الذي حل بأرض فلسطين ، ثم ادعاها لنفسه .. او زعم انه سينشر فيهما جمال الحضارة .. بينما الجمال الحق هو استقلالها عنـه ، وفكاكها من قيده :

شر الامور ، وشر ما لقي الفتى ابعاده عن صحبه ، والآل
يجد السجين لروحه متنفسا لا تسلك الارواح في الاغلال
ثقلت على العرب الكرام ضيافة للمستضيف على مدى الاجيال
ولكل دار حرمة وقداسة يجني العريب لها من الاجيال
والقدس اولى بالهدى محرابه في رهبة ، ومهابة ، وجلال
ومشردين عن البلاد ، أراهم اولى الشعوب بوقفة الاطلال
قل للذي تخذ الترحل شرعة لا يلجأ ابن الدار للترحال
قالوا : بلى غرباء .. الا انهم يزنون ضعيفهم من الاموال
وسيحملون الى البلاد حضارة عرفوا بها في عالم الاعمال
ويجملون الدار .. قلت : كذبتم ان الجمال .. جمال الاستقلال

ثم دارت الايام دورتها ، وتفاقمت قضية فلسطين .. ونظمت فيها الكثير من الشعر .. نظمت بعضه في مكة المكرمة ، عـام ١٩٤٨ ، عندما حلت النكبة .. ونظمت بعضه الآخر على مدى السنوات التالية، وتبعا للاحداث الجارية .. حتى وقفت في ابريل عام ١٩٦٦ ، في مهرجان الشعر السابع بغزة ــ رحمها الله ــ القي قصيدة سينية ، عنوانها « على ابواب فلسطين » .. وقد وقفت امد ناظري الى ما اشار اليه الاستاذ منيرالريس ، رئيس بلدية غزة وقتذاك ، من هـذه الخضرة الممتدة الى الافق البعيد ، والتي تحدها امامنا اسلاك شائكة ، تمنع المواطن من ان يرى وطنه ، والدموع تتلألأ في محاجره .. ولكني لا ادري حقا ، لماذا نظمت هذه القصيدة سينية ، وتعسفت فيها كثيرا ، محاولا معارضة البحتري في سينيته المشهورة في ايوان كسرى ، وشوقي في سينيته الاندلسية ؟. هل كنت وقتئذ ارثي فلسطين ؟ فلنستمع لابيات من هذه السينية :

حفزتني لصادق القول نفسي وسرى الفكر من شعوري وحسي
واعتراني من بالغ الوجد والاشفاق ما يذهب السرور وينسي

ومنها :

ذرف البحتري دمعا على الايوان .. في غير ما اعتقاد وجنس
واطال الوقوف بالرسم شوقي في بقايا الطلول من عبد شمس
وشجتني للاجئين بقايا في فلسطين ، من خليل وقدس
خرجوا ميتين من كل قصر واقاموا احياء في كل رمس

ومنها :

وحدة العرب بدؤها في فلسطين .. بنور من الجلالة قدسي
كل رسل السماء كانوا من العر ب ، فلم ينسبوا لروم وفرس
وابوهم ، ابو النبيين ابرا هيم ، ذو القرب والولاء الامس
فرع اسحق قد نما روح عيسى انجبته البتول من غير مس
فمضى ينشر المحبة في النا س ، ويشفي اجسادهم دون لمس
ونما النور كله فرع اسما عيل ، في غابر من الارض منسي
النبي العظيم ، يستقبل الوحي ، ويدعو السماء ساعة خلس
يا لها رحلة اضاء لها القد س ، ولاحت ابهاؤه بعد طمس
حين جاء البراق يخطف خطفا مشرقا بالضياء .. والكون ممسي
ينشر النور والهدى في فلسطين .. ويجلو الدجى باسطع شمس

واختم القصيدة بأبيات في ختامها ، تطلعت فيها الى العودة .. وتمنيت ان تقع في حياتي ، وان اعود مرة اخرى ، فلا اجد هـذه الاسلاك الشائكة ، ولا تلك الحواجز الاستعمارية البغيضة :

يا فلسطين ، أين مني مزار انا من بابه على قاب قوس
حال دوني للفاصلين جدار قد اقاموه من رمال وكلس
فكأني بذلك الصرح ينهار ، على من اقامه دون أس

الحب

احب الحب لا يبغي جزاء
ولا منا عليه ولا شكورا
كحب النجم يرسله ضياء
وحب الزهر يرسله عبيرا

حلب عمر ابو قوس

وكاني بالعائدين حشود تدخل الدار في كتائب حمس
ذاك يوم الرجوع ، وهو قريب لتيني ، ليتني .. أراه بنفسي

بقيت كلمة اخيرة .. حول زميل الجلسة التاريخية ، في مؤتمر فلسطين بسراي آل لطف الله .. عام ١٩٢٨ .. فاني لم أره بعد ذلك، حتى سمعت صوته في المذياع بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، فعرفت فيه ذلك الصوت الذي خاطبني في ود الصديق ، وتقدير الزميل ، وجد المجاهد الصادق .. ولم اقابله بعد ذلك ايضا ، حتى تقدمت في عيد العلم السادس ، في الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٦٠ ، بقاعة الحفلات بالجامعة ، لاتسلم من يده جائزة للدولة في الشعر .. سميت « جائزة شوقي » .. ومضت الايام حتى كان صباح يوم الاثنين الثامن والعشرين من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٠ .. حين استيقظت مبكـرا .. ولا ادري لماذا بدأت عمل ذلك اليوم ، بقراءة شعر قديم .. ولا لماذا كان اول ما سنح لي قصيدة الشاعر ابي البقاء صالح بن شريف الرندي ، التي رثى بها الاندلس .. ومطلعها المعروف :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

على انني من جو هذه القصيدة الحزين ، وجدتني في مساء اليوم نفسه .. افكر في مرثيته هو .. ولما كانت حياته وجهاده موهوبين الى فلسطين وقضيتها .. لذلك وقع التشابه بين القصيدتين .. فقد كان الرندي يرثي خروج العرب من الاندلس ، وكنت ارثي اخراج الفلسطينيين من فلسطين.. والحديث يدور حول جهاده هو ، في مواجهة ذلك الخطر حتى نفسه الاخير .. وهذه ابيات من القصيدة :

مصر التي احترقت ، أم تلك عمان؟ ففي القلوب لهول الخطب نيران
وهدمت دوركم ، أم تلك فاجعة حلت بنا ، فهوت للصرح اركان
اذا بكتكم دموع العين جارية فالنيل في خطبنا بالدمع ملآن
قل للفدائي .. لا تجزع فثورته صدق بقلبك لا يعروه بهتان
اقدم على الحرب واستلهم مبادئه فانما يتبع الشجعان شجعان
كانت فلسطين اغلى ما يثور له مهما غلت عنده دار واوطان

ومنها :

عرفته في صبى الايام مقتحما اذ نحن في بدوات العمر شبان
وشمته يافع التاريخ منتصرا ما صده رهب ، او رد اذعان
مفجرا ثورة الابطال يقدمها كما تفجر بالاهوال بركان

ومنها :

بني فلسطين ، هذا يوم نكبتنا كيوم نكبتكم .. فالدهر خوان
انسوا اذا اسطعتم خطبا ألم بكم فخطبنا اليوم لا يطويه نسيان

.. وهكذا قضت الايام .. فلم يكن زميل الجلسة التاريخية في مؤتمر فلسطين ، بسراي آل لطف الله بالجزيرة ، عام ١٩٣٨ .. سوى الرئيس جمال عبد الناصر .. رحمه الله .

مصر الجديدة عامر محمد بحيري





بقلم المهندس حسني سيد لبيب

سرت وحيدا في شوارع القاهرة ، اجيل النظر في معروضات المحال من الازياء الحديثة . كان الزحام خانقا احسست بانني مغمور وسط هذا السيل الجارف من البشر . حاولت ان احسب الزمن الذي استغرقه ميلاد نصف هذه الكتل البشرية ، اي منذ كم عاما كان عدد السابلة في هذه البقعة التي تحيط بي يبلغ النصف ؟ انها عملية معقدة، ولم احاول ان اخمن على وجه التقريب ، فلست اعرف الكيفية التي تم بها التزاوج والانجاب ، وكم فردا جاء من الاقاليم ، وكم فردا رحل عن القاهرة او عن دنيانا بأسرها . انتابني صداع هائل . هربت من هذه العملية المعقدة واجلت النظر في عذراوين يرتديان « الميني جيب » . كان قوامهما بديعا ، وشعرهما ينسدل على كتفيهما . يبدو انهما شقيقتان . كانتا خارجتين من حفلة السينما الصباحية . سارا في ركب الزحام، وكان من الممكن ان يغيبا عن ناظري لولا تتبعي لهما واقتفائي اثرهما حتى انعطفا الى شارع جانبي ودخلا اول عمارة ، حينذاك تنكبت الطريق الذي سرته ، لكني لم اكن ادري بالضبط الى اين اتجه !

تناهى الى اذني صوت المذيع يقول في نشرة اخبارية :

« لقد عرفنا طريق النصر الحقيقي » .

من صاحب هذا القول ؟. لم استطع تتبع بقية الكلمات ، فقد ابتعد صاحب « الترانزستور » في الاتجاه المضاد . غرقت في التفكير في هذه العبارة . هل حقا عرفنا الطريق الحقيقي للنصر ؟.. اوه ، انه طريق النصر الحقيقي .. هذه أصح .. فالاولى تعني اننا عرفنا الطريق الصحيح ، تعني اننا كنا نسير قبلا في طرق خادعة ، والآن فقط هدانا الله الى الطريق الحقيقي الذي يؤدي في النهاية الى النصر .

يبدو ان العبارة الاولى قريبة من الصواب ، لكنها تشككنا في جدوى ماضينا وتجاربنا ، هي اذن عبارة خاطئة الى حد ما .. فمعنى اننا سائرون الآن في الطريق الحقيقي هو اننا كنا قبلا نسير في طرق مسدودة خادعة . اما العبارة الثانية فهي تقول اننا سائرون في طريق النصر الحقيقي ، اي اننا الآن نخطو الى الامام . فالنصر المرتقب ليس نصرا وهميا وانما هو نصر حقيقي . معنى ذلك اننا كنا قبلا لا ننتصر ، والآن فقط نحقق نصرا ، واذا ما انتصرنا في الماضي فهي انتصارات لا معنى لها ازاء ما نحن سائرين فيه قدما نحو نصر حقيقي .

ايهما افضل ؟. لست ادري بالضبط اي العبارتين افضل ، فلكل عبارة ملابساتها . وازاء ما انا فيه من فلسفة عارضة ، الفيت نفسي اتردى في تناقضات أفقت منها حين استرعت انتباهي فتاة اطول مني قليلا تسير قدما بخطوات واثقة . احسست بانها حين تنقل احدى ساقيها كأنما تهد جبلا ، او تزلزل الارض من تحتها . انها فتاة جادة ولا شك . حتما هي لا تتفلسف ، وكل الذي يستحوذ تفكيرها هو الهدف الذي تسعى اليه . قد تكون راجعة من عملها وتحرص على العودة في وقت مبكر ، وقد تكون على موعد .

اصطدمت بشخص ، التفت كي اعتذر له فألفيته يضحك . تذكرت صاحب هذا الوجه ، انه صديقي كمال . احتضنني ، وكان لقائي به مفاجأة لم اكن اتوقعها بعد ان غاب عني اربع سنوات . اكتسى وجهه بسمرة خفيفة .

ــ صرت حبشيا يا كمال .

ــ شمس اسوان هي السبب . لماذا لم تتصل بي ؟. كتبت لك رسالة ، ولم تكتب لي ردها .

ــ لم تصلني !.

لا ادري لماذا كذبت ؟.

رسالته وصلتني ، وما زلت احتفظ بها حتى الآن ضمن الرسائل التي ترد الي ، لكني لم اشأ ان ارد. اذكر اني ذات مرة جلست لاكتب له رسالة ، الا انني احسست بالملل ولم يطاوعني القلم في كتابة عدة سطور ، وخشيت ان يكون قد نسيني . كانت اكذوبة مروعة تلك التي ترديت فيها . جاهدت قليلا حتى اتزن واعود الى طبيعتي . حدثني عن اسوان كثيرا وعن عمله هناك ، وطال بنا الحديث حتى مللت .. لكني تحملت ، وواجهته بابتسامة لم تفارق شفتاي طيلة حديثه الطويل . حاولت ان اكسر حدة هذا الملل فقلت :

ــ أتزوجت ؟.

يبدو اني فاجأته ، الا انه أجاب على التو :

ــ ليس بعد ، وانت .. الم تنجب ؟.

ــ لا ، لاني لم أتزوج !.

فضحك ، ثم استدرجنا الحديث الى الزواج ومشكلاته . يبدو انه لم يضجر ، ولم يستشعر الملل . فهمت من حديثه انه قام باجازة لمدة اسبوعين يعود بعدها الى أسوان .

نظرت الى ساعتي فوجدت ان موعد حفلة السينما قد ازف .

تسرعت في حديثي معه ، سألني عن وجهتي فقلت :

ــ عائد الى البيت .

ــ انا مشتاق لك ، لم نلتق منذ اربع سنوات . ارجــو ان تحضر الليلة ونسترجع ذكريات الماضي .

ــ في السادسة مساء .

ــ حسن . الى اللقاء .

ــ الى اللقاء .

سرنا في اتجاهين متضادين . عرجت على السينما . جذبني الاعلان الملصق على واجهتها . قرات نقدا للفيلم في جريدة الامس . انه فيلم يعالج مشكلة الجنس . اشرت للانسة الى المقعد الثالث من الصف السادس ، انــه مقعدي المفضل . قبعت في الظلام وحدي . في البداية، مللت طريقة عرض الفيلم ، الا انني اندمجت في احداثه بعد فترة .

كانت الساعة تقترب من السادسة وقت خروجي من السينما ، وكان الجو رائعا ، والسير في الشارع الصاخب مغريا . تذكرت موعد صديقي كمال . يتحتم علي ان اذهب اليه مباشرة دون ان اعرج على البيت لاستريح . دلفت الى محل « كشري » والتهمت طبقا ، ثم جلست على المقهى المواجه للمحل وتناولت قدحا من الشاي . قمت سريعا بعد ان تجاوز عقربا الساعة السادسة بكثير . مرنت ساقاي على المسير . كانت ساقاي متعبتين ، واحسست بانني منهوك القوى . صداع يشبه الصخب احس بضجيجه في راسي . لم اتحمس للذهاب الى كمال ، سيوجع راسي بحديث طويل عن حياته في اسوان وما واجهه من صعاب ، والمفارقات التى صادفته وغير ذلك من اشياء كثيرة لا تنتهي . توقفت عند اعلان صغير كان ملصقا على حائط ، يحكي الاعلان قصة شهيد فلسطيني . قراته باهتمام ، ثم واصلت سيري وانا افكر في فلسطين ...

كم من الرجال يمكن ان يضحوا بانفسهم لاسترجاع الارض المغتصبة ؟. يتوجب علينا ان نقتل كل اليهود الجاثمين على ارضنا الطاهرة . واذا افترضنا ان كل عربي يمكن ان يقتل خمسة من اليهود قبل ان يستشهد ، فكم شهيدا يمكن ان نضحي بهم ؟. استغرقت في التفكير في العملية الحسابية . لا شك اننا في حاجة الى حوالي ربع مليون شهيد. مضى عامان على النكسة ، فكم شهيدا سقط في غضون العامين المنصرمين؟. وكم عاما يتبقى لنا كي نسترجع ارضنا الطاهرة ؟! لا شك انه



حسني سيد لبيب

سيمضي زمان طويل . ولكني متأكد ان فناء اليهود هو الضمان الاكيد لاسترجاع الارض المغتصبة !. ولكن !... سوف تتدخل امريكا قبل ان نفني اليهود .. اف .. يا لها من مشكلة معقدة !.. اين هو طريق النصر الحقيقي ؟. انني لا اتعرف عليه . حقا هو طريق الفداء والتضحية ، ولكن متى يتحقق النصر العربي ؟.

احسست بانني ادلف طواعية الى فلسفتي الجوفاء . الساعة تقترب من السابعة ، ولست راغبا في الذهاب الى كمال .. كما انني مللت تلك الهواجس المحيرة التي تصخب في عقلي وتسبب لي صداعا مؤلما . احسست بانني فتى خيال .

الجو دافيء ، وما احلى الزواج!. ان الزواج نقطة تحول في حياة كل انسان ، او هو بداية حياة جديدة. تذكرت الفيلم ، واجترت مناظره ... الاقدام تتسابق في المسير ، تعدو وكانها في سباق مثير . الاضواء تتكاثر على جانبي الشارع ، وفي وسطه ترتفع اعمدة الاضاءة ، تنبعث من مصابيحها اضواء قوية. احسست بان اية فكرة قد تطرا في ذهن اي انسان ، فانها حتما ستموت هنا .. سيخنقها الضوء ، ويقهرها الصخب . احسست بان الناس لا يفكرون كثيرا ، واكاد احس بآلية تصرفاتهم ، وبانهم لا يفكرون في شيء ، او هم يندفعون بغرائزهم ورغباتهم . صوت قوي استطعت ان التقطه في وسط ضوضاء المارة ، صوت ينادي باسمي :

ــ حسن ، يا حسن ..

التفت الى صاحب الصوت . وجدت باب عربة مفتوحا ، ويد تشير لي بان ادخل . كانوا ثلاثة من زملاء الدراسة شئت ان اقطع صلتي بهم بعد تخرجي في الجامعة. دلفت الى داخل العربة ، وسرعان ما تبادلنا احاديث شتى ، ضاع صوتي وسط اصواتهم العالية ، واحاديثهم الشيقة .

ــ امريكا اطلقت سفينة فضاء الى القمر .

قلت هذا محاولا جذب انتباههم الى موضوع ما . لكنهم ضحكوا وتناثرت تعليقاتهم . قلت معقبا :

ــ كم سنة تمضي حتى تستطيع مصر اطلاق سفينة فضاء !.

صاح هشام ، وكان يقود العربة في اختيال وبسرعة جنونية فخيل الي انه رائد فضاء يجوز بنا اجوازه

صوب القمر ، قال :

ــ مصر اطلقت سراح المعتقلين ، فهل فعلت امريكا مثلنا ؟.

ــ لست ادري .

وقال احمد :

ــ اليست عندنا فتيات معتقلات ؟!

رد عليه انور :

ــ في امريكا توجد معتقلات ، وفي اغلب بلاد العالم ، ما عدا مصر ..

ــ لم يحصلن على حقوقهن كاملة .

واسترسلوا في تعليقاتهم ونكاتهم . اندمجت معهم ، بدات اطلق النكات ، احسست ان الملل الذي كنت اعانيه بدأ يتسلل هاربا ، واحسست بحيوية ونشاط كأني استقبل صباح يوم جديد منتعشا بانسامه الرقيقة ، سألتهم :

ــ الى اين ؟.

اجاب احمد :

ــ سنأكل في « الاميريكين » ، ثم تبدأ سهرتنا يا جميل .

ــ واعقب انور :

ــ ستكون ليلة رائعة يا ابو علي .

قلت :

ــ سهراتكم كلها جميلة وحلوة .

قال هشام :

ــ لا سيما وان فيها الحلو دائما .

فضحكنا ، ثم قال احمد :

ــ لكن اليوم يوجد حلو من نوع جديد لم تتذوقه بعد .

وفي « الاميريكين » جلسنا لنأكل قطعا من الحلوى ، ثم خرجنا واستقلينا العربة ، لكن تخلف عنا هشام فانتظرناه قليلا ، ولم أشأ ان اسألهم . عاد هشام ومعه امراة جميلة ، ممشوقة القوام ، ذات بشرة بيضاء ناعمة ، وفي بريق عينيها اغراء لا يقاوم . دلفت المراة الى داخل العربة وفي اثرها هشام . جلس هشام في مقعد القيادة وبجانبه المراة الجميلة ، ثم قاد العربة بسرعة جنونية . همست في اذن احمد :

ــ من هذه ؟.

فقال ضاحكا وهو يغمز بعينه اليمنى :

ــ الحلو يا حلو ..

ــ جميلة جدا . كنت اود ان اسهر معكم الليلة ، يا بختكم !.

كان انور ينصت لما اقول ، فقال :

ــ لا بد ان تسهر معنا ، فالليلة لا تعوض .

ــ لكني ...

قاطعني هشام :

ــ لكن ماذا يا ابو علي ؟.

اشعل احمد لفافة دخان للمراة الجميلة . نفثت دخان سيجارتها ثم قالت :

ــ لا بد انه مرتبط بموعد غرامي .

سألني احمد في لهفة :

ــ صحيح يا ابو علي ؟.

ــ اجل ...

اعقب هشام :

ــ هنيئا لك .

قال انور :

ــ كنا نود ان تسهر معنا .

ــ فرصة اخرى .

كنت اهم بالاستئذان ، لكنهم اصروا على توصيلي الى المكان الذي اقصده او الى مكان قريب منه اذا لزم الامر ، حتى يبعدوا عنهم شبهة التطفل . قلت لهم :

ــ سأنزل في ميدان التحرير .

كنت متعجلا في استئذاني ، وكان ميدان التحرير قريبا جدا . ودعت الثلاثة والمراة الجميلة ، ثم وقفت في مكاني جامدا لا الوي على شيء . كنت ارغب في السهر معهم . ان اغراء هذه المراة لا يقاوم ، لكني خشيت ان اتورط في سهرات اخرى ، وانا اعلم جيدا كم تتكلف مثل هذه السهرات ، انها تتكلف اكثر مما يتحمله جيبي .

الساعة تقترب من التاسعة . احسست بأنني تورطت في اكذوبة اخرى حين وافقتهم على اعتقادهم بأني مرتبط بموعد غرامي . فكرت في الاتصال هاتفيا بكمال لاعتذر له ، الا اني خشيت ان اتورط في اكذوبة اخرى . وتصير حياتي سلسلة لا تنتهي من الاكاذيب . ركبت سيارة ركاب قاصدا بيتي ، واحساس طاغ يؤكد لي بأني في حالة تناقض مع نفسي . انا متخاصم مع نفسي . اتمنى لو أهرب منها او اتنصل من أهوائها . لكنها تناصبني العداء وتؤكد لي دائما بانها تفرض وجودها علي وتسبب لي قلقا وحيرة لا مناص منهما .

رقدت على الفراش قليلا منشدا الراحة . لكني سرعان ما نهضت تحت وطأة احساس بالاكتئاب .

كنت مهموما . سألتني امي :

ــ أجهز لك العشاء .

ــ تعشيت بالخارج .

لم تعقب . تركتني وحيدا . مرة اخرى عدت افكر في عبارة « الطريق الى النصر الحقيقي » وعبارة « الطريق الحقيقي الى النصر » . ايهما افضل ؟. امسكت القلم وحاولت ان اكتب شيئا . انها قضية جدلية جديرة بأن تناقش ، لكني لم امارس الكتابة من قبل ، فلماذا اكتب ؟. واذا كتبت فمن يقرأ لي ؟. اهي بداية طريق جديد أنوي السير فيه ؟. لست ادري ، فقط ايقنت بأن هذا الجدل عقيم ، ولم استشعر اي مدلول فيما افكر فيه . قد اكون اخفقت في الوصول الى مدلول او مغزى ، وقد يرجع ذلك الى الملل الذي يتسرب الى نفسي ويكاد يخنقها .

اعرضت عن الفكرة الملحة . وجالت بخاطري فكرة اصابت هوى في نفسي . يتوجب علي الآن ان اعد الاكاذيب التي تورطت فيها اليوم . اجهدت ذاكرتي كثيرا حتى لا تفلت مني اية اكذوبة . سرعان ما انتابني القلق ، كنت اخشى ان اسهو عن اكذوبة ما او يخطئني التقدير فأحسب الاكذوبة حقيقة ، والحقيقة اكذوبة . كانت المهمة عسيرة . فحتما سيخطئني التقدير ، ولن

غداً ... عيد ميلادك

•

غدا عيد ميلادك ، يا أبي !
وضعوا ، اليوم ، على صدرك المرمر
. . . .
ولكنها ثقيلة ، الحجارة
ثقيلـة ...
أحسها تضغط عليك ،
على صدرك ،
علـي .
ان صدرك الرحيب ،
الذي وسعني ، بصبره ودفئه وحنانه ،
ووسع أمي وأخي وأختي ،
طوال حياتك ...
كـم اتمنى
لو استطيع ان انزع الحجارة عنه !

غدا عيد ميلادك ، يا أبي !
أريد ان أحسب أنك لست تحت التراب .
أريد ان أراك ،
ولـو لحظة ،
لاقبلك الف قبلة :
ألثم جبينك الوضاح ،
عينيك الذكيتين ،
يديك الطاهرتين ،
قدميك ،
أمر بشفتي على ((شيبتك)) الملائكية ،
أستنشق رائحتك ،
أستروح حنانك الابوي ،
أرى بسمتك المستعصية على النسيان ،
واستشعر بقـوة
وجـودك
الماثل أبدا في أعماق اعماقي .

غـدا ...
عيد ميلادك ، يا أبي !

دمشق — أمل خانجي

يكون الغد مضبوطا . فتحت المذياع لاسمع الانباء . نبأ جديد يعلن عـن عملية عبور لقواتنا عبـر القناة ، وقتل عدد كبير من جنود العـدو . عملية ناجحة تزرع الامل في قلبي . لكنها لم تحقق النصر المنشود . لم تزل ارض سيناء محتلة ، ولم تـزل الضفة الغربية تحت نير الاحتلال ، وما تزال مرتفعات الجولان في قبضة ايدي العدو . عملية عبور ناجحة ، لكنها محدودة . متى اذن يتم النصر المنشود ؟. علينا ان نفترض عـددا ثابتا من جنود العدو يموت كل يوم، ثم نحسب كم عاما ينقضي حتـى يموت اليهود جميعا ؟!. لا شك انه تقدير خرافي ، ولا شـك ايضا ان احدا لم يفكر في افنائهم جميعا حتى يتحقق النصر العربي . لكنه فرض افترضه حرصا مني على أن يكـون النصر حقيقيا .

لعنة الله على كل كلمة درستها في كلية التجارة . لقـد تعلمت كيف اقدر للمشروع تكاليفـه ، وكيف اضمن نجاحه الاكيد. طافت بخيالي صورة المراة الجميلـة ، لا شك ان الثلاثة يقضون معها وقتا طيبا. هذه المراة شيء مثير حقـا ، ولا يمكن للعمليات الحسابية ان تجازف فيه. كنت ارغب في قضاء السهرة معهم ، وكان ما في جيبي يغطي مصاريف هذه الليلة . لـماذا اذن حـاذرت وفكرت في مصاريف سهرات اخرى مقبلة ؟. ولماذا اخضع كـل شيء للعمليات الحسابية ؟. لعنة الله على دراستي ، هـي السبب .. لا .. قد اكون انا السبب ، او تكـون نفسي . فالثلاثة درسوا مثلـي في نفس الكلية ، وتخرجوا في العـام الذي تخرجت فيـه . لا شك انها مشكلتي وحدي . تذكـرت كمال ، الوجه الذي قابلني صدفة وتمسك بي ، واختزن لـي حكايات كثيرة وذكريات عديـدة ليرويها لـي في المساء .

اعترتني رغبة ملحـة في ان اكتب الى شخص ما ، اى شخص ، في اي بلد يكون ، مهما تكن بلـده نائية . لا ادرى ماذا اكتب لـه بالضبط ، لكنني حتما سأكتب لـه كلمات صادقة تكون ترجمة حقيقية لـما استشعره في نفسي .

القاهرة — حسني سيد لبيب



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

لا يخفى على القراء ، لا يخفى عن القراء

ويخطئون من يقول : لا يخفى عن القراء ، ويقولون ان الصواب : لا يخفى على القراء ، اعتمادا على ما جاء في الآية ٥ من سورة آل عمران : « ان الله لا يخفى عليه شيء » ، وفي الآية ٣٨ من سورة ابراهيم : « وما يخفى على الله من شيء » ، وفي الآية ٤٠ من سورة السجدة : « ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا » . (بضم ياء يلحدون وفتح ياء يخفون وكسر الحاء وفتح الفاء) .

وهذا ما يراه التاج واللسان والاساس والصحاح ومختار الصحاح والمصباح ، وزاد الاخير قوله : خفي له : ظهر .

أما قول الشريف الرضي :

وتلفتت عيني ، فمذ خفيت عنها الطلول ، تلفت القلب

فقد عد ابن عصفور باب انابة حرف مكان آخر من الضرائر الشعرية ، واورد لذلك عدة شواهد ، منها قول الشاعر الاموي القحيف العقيلي :

اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها

اراد : رضيت عنه ، ووجه ذلك انها اذا رضيت عنه ، اقبلت عليه ، ولذلك استعمل (على) بمعنى (عن) .

وقال الكسائي : لما كان (رضيت) ضد (سخطت) ، عدى رضيت ب (على) حملا للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره .

وشبيه بذلك قول دوسر اليربوعي :

اذا ما امرؤ ولي علي بوده وأدبر لم يصدر بادباره ودي

أي : ولى عني . ووجهه أنه اذا ولى عنه بوده ، فقد ضن عليه به وبخل ، فاجرى التولي بالود مجرى الضن والبخل ، او مجرى السخط ، لان توليه عنه بوده لا يكون الا عن سخط عليه .

وليست انابة حرف جر مكان آخر ضرورة شعرية ، اذ جاء في الآية ١٥ من سورة القصص : « ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها» ، أي : في حين غفلة . (بفتح المدينة ، وكسر حين) .

وفي الآيتين ١ و٢ من سورة المطففين : « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون » ، أي : من الناس .

وفي الآية ٣ من سورة النجم : « وما ينطق عن الهوى » ، أي : بالهوى (بكسر الطاء) .

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : « بني الاسلام على خمس » ، أي : من خمس مواد .

واستشهد ابن هشام في « مغني اللبيب » بقوله تعالى في الآية ٣٧ من سورة محمد : « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » (بفتح الخاء في الاولى والثانية وتسكين اللام في الاولى وضمها في الثانية) ، أي : على نفسه ، ثم ذكر بيت ذي الاصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ، ولا أنت دياني فتخزوني

يريد : أفضلت علي . (لاه ابن عمك : لله ابن عمك . في الاساس والصحاح : (عني) . وفي التاج واللسان : (يوما)) .

وأكد ابن مالك في ألفيته ان (عن) تأتي بمعنى (على) ، بقوله :

وقد تجي موضع (بعد) و (على) كما (على) موضع (عن) قد جعلا

(بفتح عين (موضع) ، وضم الجيم في (جعلا)) .

ومما يورده « النحو الوافي » عن معاني حرف الجر (في) أنه :

١ ـ يفيد الاستعلاء ، نحو : غرد الطائر في الغصن ، أي : على الغصن ، ويصيح الغراب في المئذنة ، أي : عليها .

٢ ـ يكون بمعنى (الى) الغائية ، نحو : دعوت الاحمق للسداد ، فرد يده في أذنيه ، ـ أي : الى أذنيه ، كي لا يسمع النصح ـ . ومنها قوله تعالى في الآية ٥١ من سورة الفرقان : « ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا » ، أي : الى كل قرية . (نذيرا بفتح النون) .

٣ ـ يكون بمعنى (من) التبعيضية ـ غالبا ـ ، نحو : أخذت في الاكل قدر ما أشار الطبيب ، أي : من الاكل (بعض الاكل) .

٤ ـ يكون بمعنى (الباء) ، نحو : من لم يكن بصيرا في ضرب المقاتل لم يكن آمنا على حياته ، أي : بضرب المقاتل .

ومما أورده من معاني حرف الجر (على) أنه :

١ ـ يكون بمعنى (الباء) ، نحو : سمعت من الوالد نصحا ، وحقيق عليه ان يقول ما ينفع ، أي : حقيق به ، بمعنى : جدير به .

٢ ـ قد يعني التعليل ، نحو : « اشكر المحسن على احسانه ، وكافئه على صنيعه » ، أي : لاحسانه ، ولصنيعه .

٣ ـ وقد يعني المجاوزة ، نحو : « اذا رضي علي الابرار غضب الاشرار » ، أي : رضي عني » .

الى آخر ما هنالك من الامثلة الكثيرة التي يوردها صاحب النحو الوافي عن حروف الجر (راجع المجلد الثاني من صفحة ٤٠١ ـ ٥٠١) .

وقد افرد ابن جني لهذا الموضوع بحثا رائعا في الخصائص في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، فقال :

« يقولون ان (الى) تكون بمعنى (مع) ، ويحتجون بقوله تعالى: « من انصاري الى الله ؟ » ويقولون (في) تكون بمعنى (على) ، كقوله تعالى : « ولاصلبنكم (بتضعيف اللام والنون وكسر الاولى وفتح الثانية) في جذوع النخل » ، وغير ذلك . ولسنا ندفع ان يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول انه يكون بمعناه في موضع دون موضع ، على حسب الحال الداعية اليه ، فاما في كل موضع فلا .

« الا ترى انك ، اذا اخذت بظاهر هذا القول ، لزمك ان تقول عليه : « سرت الى زيد » ، وانت تريد (معه) ، وان تقول : (زيد

في الفرس) ، وانت تريد (عليه) ، و (زيد في عمرو) ، وانت تريد (عليه في العداوة) ، وان تقول : (رويت الحديث بزيد) ، وانت تريد (عنه) ، ونحو ذلك مما يهون ويتفاحش . ولكن نضع في ذلك رسما يعمل فيه :

« اعلم ان الفعل اذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان احدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر ، فان العرب قد تتسع ، فتوقع احد الحرفين موقع صاحبه ، ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » . وانت لا تقول : رفثت الى المرأة ، وانما تقول : رفثت بها او معها . لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الافضاء ، وكنت تعدي (افضيت) ب (الى) ، جئت بها مع الرفث ايذانا بانه بمعناه » .

ثم قال : « وكذلك قوله : « من انصاري الى الله ؟ » أي : مع الله . وانت لا تقول : سرت الى زيد ، أي : معه . لكنه انما جاء لما كان معناه : من ينضاف في نصرتي الى الله ؟ »

الى ان قال : « ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا ، لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جمع اكثره لجاء كتابا ضخما . وقد عرفت طريقه ، فاذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به ، فانه فصل من العربية لطيف حسن ، يدعو الى الانس بها ، والفقاهة فيها » .

وقال ابن السيد البطليوسي في (شرح ادب الكاتب) عند باب دخول بعض الصفات مكان بعض :

« هذا الباب آجازه اكثر الكوفيين ، ومنع منه اكثر البصريين . وفي القولين جميعا نظر ، لان من اجازه دون شرط ، لزمه ان يجيز : سرت الى زيد ، وهو يريد : مع زيد » . ثم مثل بنحو ما مثل به ابن جني ، وقال : « وهذه المسائل لا يجيزها من يجيز ابدال الحروف . ومن منع من ذلك على الاطلاق ، لزمه ان يتعسف في التأويل لكثير مما ورد في هذا الباب ، لان في هذا الباب اشياء كثيرة ، يتعذر تأويلها على غير وجه البدل ، ولا يمكن المنكرين لهذا ان يقولوا ان هذا من ضرورة الشعر ، لان هذا النوع قد كثر وشاع ، ولم يخص الشعر دون الكلام. فاذا لم يصح انكارهم له ، وكان المجيزون له لا يجيزونه في كل موضع ، ثبت بهذا انه موقوف على السماع ، غير جائز القياس عليه ».

ثم نقل البطليوسي كلام ابن جني ، وزاد عليه امثلة ، وشرحها بالتفصيل .

فمن هذا كله نرى ان انابة حرف مكان آخر جائزة في كثير من الاحوال ، لكنها لا تطرد في كل موضع ، ويترك الامر فيها الى السماع لا القياس .

اما الفعل (اخفى) فهنالك شبه اجماع على تعديته ب (عن) و (على) ، فنقول : لا اخفي عنك ، ولا اخفي عليك . وقد جاء في حديث الهجرة : أخف عنا خبرك ، اي : استر الخبر لمن سالك عنا .

نموذجات من حرف القاف

قرأ فلانا السلام

ويقولون : قرأ فلانا السلام ، او : اقرأ فلانا السلام . والصواب : قرأ على فلان السلام ، واقرأ على فلان السلام ، اي : أبلغه اياه .

قال الاصمعي : وتعديته بنفسه خطأ ، فلا يقال : اقرأه السلام ، لانه بمعنى : أتل عليه .

وجاء في الاساس : يقال : اقرأ سلامي عليه ، ولا يقال : أقرئه مني السلام .

وحكى ابن القطاع (بتضعيف الطاء) أنه يتعدى بنفسه رباعيا ، فيقال : فلان يقرئك السلام (من الفعل : اقرأ) .

وفي اللسان : أقرأني فلان : حملني على أن أقرأ عليه .

قرأ عند فلان النحو

ويقولون : قرأ عند فلان النحو . والصواب : قرأ على فلان النحو ، أي : درسه (بتضعيف الراء) النحو .

قرابة الف كتاب

ويقولون : عندي قرابة (بفتح القاف) ألف كتاب والصواب : عندي قرابة الف كتاب ، او : قراب (بضم القاف فيهما) الف كتاب ، لان القرابة (بفتح القاف) هي : القربى في الرحم .

وقد جاء في التاج واللسان والصحاح ومتن اللغة : قراب (بكسر القاف) الشيء ، وقرابه (بضم القاف) ، وقرابته (بضم القاف) : ما قارب قدره .

الحر والقر

ويخطئون من يقول : الحر والقر (بفتح القاف ، وهو : البرد) . ورغم ان جل المعاجم الموثوق بها لا تذكر سوى القر (بضم القاف) ، فقد ثلث ابن قتيبة القاف (القر) ، بينما أوجب اللحياني في نوادره فتح القاف عندما نستعمل (القر) مع (الحر) لكي تكون القاف مفتوحة كالحاء .

وانا ارى ، بعد الاستئذان من مجامعنا اللغوية :

١ ـ أن نستعمل القر (بضم القاف) دائما ، اذا جاءت هذه الكلمة منفردة ، لان لها معنيين فقط ، هما :

(أ) البرد . (ب) القرار بالمكان .

٢ ـ ان نستعمل القر (بفتح القاف) ، اذا جاءت معها كلمة (الحر) للمشاكلة ، مجاراة للحياني في رأيه .

٣ ـ القر (بفتح القاف) لها معان عديدة جدا ، منها :

أ ـ اليوم البارد .

ب ـ ترديد الكلام في أذن الابكم ، حتى يفهمه .

ج ـ قر الدجاجة : صوتها المتقطع .

د ـ الفروجة (بتضعف الراء المضمومة) .

هـ ـ قر الماء : صبه .

و ـ القرار بالمكان .

ز ـ اليوم الذي يلي عيد النحر (لان الناس يقرون ـ بكسر القاف ـ في منازلهم ، وقيل لانهم يقرون بمنى ـ بكسر الميم وفتح النون ـ) .

ح ـ الهودج .

٤ ـ القر (المكسورة القاف) انفرد ابن قتيبة بذكرها ، وارجح انه اخطأ ، ولذا ارى ان لا نستعملها ابدا .

قرف منه

ويقولون : قرف (بكسر الراء) منه . والصواب : اشمأز منه ، او : تقززت نفسه منه ، لان معنى قرف) بكسر الراء (فلان المرض ، يقرفه (بفتح الراء) قرفا (بفتح القاف والراء) : داناه , وفي الحديث ، وقد سئل عن أرض وبيئة ، قوله : تحولوا ، فان في القرف التلف . اراد مداناة المرض وملابسة الداء .

القرنبيط

ويقولون : لا نحب رائحة القرنبيط المطبوخ . والصواب : القنبيط (بضم فنون مضعفة مفتوحة) . وهذه الكلمة من اصل يوناني .

صيدا ـ لبنان　　　　محمد العدناني

ارتعاش في ضوء القمر

سميحة التوبة

الرياض ــ السعودية

يا رفيقي .. لست ادري ما يقال
وحروفي لم تزل سرا ببال السحب
كل شيء يبعث اليأس بنفسي والملال
يا رفيقي .. آه لو كنت معي هذا المساء
وأنا أسبح في عرس الضياء
والقمر . لاح في عينيه باقات عبر
وفؤادي واهن فوق الرمال
كل ما حولي سحر مستعر
غير اني أشرب الساعات يأسا وملال
فاذا ما تاه يوما نظري
سابحا عبر النجوم
تصدم الفرحة ــ في عيني ــ هاتيك الغيوم
وهي تدنو من عيون القمر ..
يا صديقي .. واذا يوما مشينا في المساء
نحضن الفرحة .. نستل الضياء
من جناحي طائر طلق الفناء
سوف نلقى بين جنبينا الشقاء
ويموت الطائر السحري في رعش المساء
ــ يا رفيقي .. هذه الازهار تجثو مثلنا
في سكون الليل والنبع سيبدي سرنا
ــ لا تبالي .. انه نشوة حب أبدية
انه ليلة سر قمرية
يرقص اللؤلؤ فيه
وتغني زهرة الروض حكايا ليلكية
سوف تاتي الريح .. ويلي يا رفيقي
تسرق الافراح مني والهناء
انها لا بد تاتي ..
سوف تاتي ..
آه .. انا أشقياء
يا رفيقي .. لا تقل هذي ترانيم الزهر
وحفيف النخل في الوادي .. واحلام القمر ..
سوف نمضي ــ يا رفيقي ــ لن نصير
مثلما باحت به عيناك يوما
وردة ، وهو أمير ..
أو شذى يسكر أزهار الحديقه
أو لآلي في الغدير
لن نصير ..
ــ يا رفيقي هذه كل الحقيقه ــ
غير ذرات رمال
آه دعني ...
كل شيء يبعث اليأس بنفسي والملال

ابو تمام شاعر الغيث

بقلم حمودة زلـوم

* * *

يعتبر ابو تمام الطائي ، شاعر الغيث بلا منازع ، ولسنا نمنحه هـذه الصفة مجاملة او انسياقا مع المشاركة الوجدانية ، ولكن نتيجة رحلة طويلة شاقة في ديوانه ، وتتبع أخباره ، فهو يكثر من ذكـر الغيث ، وما يدور في فلك هذه الكلمة من مرادفات ، وصفات وافعال وتراكيب سواء في مطالع قصائده ام في خلالها ، حتى باب الوصف من ديوانه ، معظم قصائده في (وصف غيمة) او (وصف سحابـة) او (وصف المطر) او (وصف غمامة) الخ ...

وسبب اكثاره من ذكر الغيث ، لم يكن وليد الصدف ، ولكـن نتيجة مؤثرات عدة ، فمنها البيئة ، والتي لا يستطيع احد اغفالها لـما لها في حياة الفنان من عميق الاثر ، فقد قضى معظم حياته جوالا ، فـلا يكاد يستقر ، حتى يرحل ، فماش في الشام ، ومصر ، وسامراء وبغداد والموصل واذربيجان وجرجان وغيرها من الاماكن التي يلعب الماء في حياتها دورا مهما ، وقد ورد حبه للسفر في كثير من اشعاره :

خليفة الخضر من يربع على وطن	في بلدة فظهور العيس اوطانـي
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا	في الرقمتين وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى لـي سكنا	حتى تشاقـه أقصى خراسان

ومنها نفسي ، وهو ما تركه الماء في حياته من اثر عميق ، فمؤرخو الادب ، يذكرون انه ارتحل لمصر ، ولما يبلغ الثانية عشرة ، يسقي الماء ويستقي الادب في مسجد عمرو بن العاص .

وارى كذلك انه كان مغرما بالماء لحد الافراط ، فقد روى احـد اصدقائه قائلا : استأذنت عليه ، فدخلت في بيت مصهرج ، قد غسل بالماء ، فوجدته يتقلب يمينا وشمالا فقلت : لقد بلغ بك الحر مبلغـا شديدا ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث ساعة ثم قام كانه اطلق مـن عقال فقال : الآن أردت ، ثم استمد وكتب شيئا لا اعرفه .

ومن الامور التي عملت على اكثار هذه النغمة في شعره ، ما للغيث من اهمية في الحياة ولتعبيرها اللغوي القوي ، وابو تمام من عيـون القوة والجدة في التعبير .

ولعل عجبنا يتلاشى ، وتساؤلاتنا تنتهي اذا علمنا انه كتب كتابـه الشهير « ديوان الحماسة » في فصل الشتاء ، حينما اعترضه الثلج في همذان اثناء ذهابه الى عبد الله بن طاهر وقيل في اثناء رجوعه ، فالف كتابه ريثما يذوب الثلج .

قاموسه اللغوي للغيث :

غيث ـ مطر ـ ماء ـ أمواه ـ مياه ـ ديمة (المطـر الذي ليس فيه برق ولا رعد) ـ ديم ـ عزالى (المطر الخفيف) ـ الرجع (المطر) ـ وبل (المطر الغزير) ـ وكاف (المطر المنهل) ـ ارهام (المطر الخفيف) ـ الرذاذ (المطر الخفيف) ـ السبل ـ قراح ـ زلال ـ هتون (المطر المتتابع) ـ الحيا (المطر) ـ الندى ـ الحسي (ماء قليل في الارض)ـ العهاد (الامطار المتتابعة) ـ متعنجر (المـاء الكثير وسط البحر) ـ مزن ـ قطر ـ برد (حب الغمام) ـ اغريض ـ الثلـج ـ ضحضـاح (الماء القريب القعر) ـ سحابه ـ سحاب ، سحائب ـ الغـدق ـ غمامة ـ غمام ـ عارض (السحاب المقبل) ـ صوب (نزول المطر) ـ وطفاء (سحابة مسترخية لكثرة مائها) ـ سارية (سحابة تاتي ليلا)ـ هواميع (سحب سيالة) ـ البارق (سحاب ذو برق) ـ هزيم (صوت الرعد الذي ينبجس معه المطر) ـ برق خلب (الذي ليس فيه مطر) ـ ضحل ـ النقع (ما اجتمع في البئر من ماء) ـ الدأباء (البحر) ـ الغوارب (اعالي الموج) ـ المبشرات (الرياح التـي تبشر بالغيث) ـ الوطفاء (سحابة متدلية الهيدب) ـ نهر ـ بحر ـ سيل ـ سيول ـ مذانب (مسايل الماء) ـ غدر ـ حوض ـ عيون آبار ـ قليب ـ ركي (البئر ذات الماء) ـ مناهل ـ ثغب (سيول المـاء في الـوادي) ـ مراشف ، رشاء دلاء ـ دلو ـ الاكراب (حبال تشد في وسط اعـراق الدلو) ـ الارذام (سيور بين آذان الدلو وعراقية) .

منهمر ـ صفو ـ كدر ـ سلسل ـ ظمـآن ـ صادي ـ ظماءه ـ الصدى ـ الحران (العطشان) الناهل (للعطشان) ـ بروق ـ رعود ـ ابراق ـ ارعاد ـ هراقة (كثيرة الصب) ـ هواطل ـ سواقي عوافي ـ هتون ـ خضل (مبتل) ـ منهمر ـ ساريـة ـ مسودة ـ مسبـل (منصب) ..

النيل ـ الزاب ـ الفرات ـ زمزم ـ لبرين وملحوب (مكانـان يشتهران بكثرة الماء) ـ سماك ومرزم (نجمان ينسب اليهما المطر)ـ.

صب ـ هطل ـ ارويت ـ تبرق ـ ترعد ـ امطـرت ـ تصوب ـ يفيض ـ تنبع ـ تروت ـ فاض ـ نبعت ـ يقطر ـ تسيل ـ ترقرق ـ تحدر ـ طمت ـ سالت ـ ينهمر ، اترعت ـ همى يمذق ـ .

ماء الملام ـ ماء الوصال ـ ماء الحياة ـ ماء الحياء ـ قاتل المحل ـ صفحة الماء ـ أديم الماء ـ جلدة الماء ـ ماء الروض ـ آثار الغيـوم ـ ماء النصيحة ـ ريق الغيث ـ مياه الندى ـ حسى فؤاده (ماء فؤاده: دم قلبه) ـ ماء بكائي (الدمع) ـ ريق الهدى ـ .

وتكاد تكون اروع مقدمات قصائده ، والتي يظهر فيها تعاطفه مع الغيث ، بوصفه وتفريعه في معانيه ، وابتكاره في الصور وجدة المعاني ، ما قاله في مطلع قصيدة ، يمدح فيها الوزير الاديب محمد بن عبد الملك الزيات ، فقد شبهه بسحابة ماطرة ، نزلت بارض جرجـان فانعشت الارض بعد جدبها وابهجت السكان بالخير المنتظر :

ديمة سمحة القيـاد سكـوب	مستغيث بهـا الثرى المكروب
لـو سعت بقعة لانعـام نعمـى	لسعى نحوهـا المكـان الجديب
لذ شؤبوبها وطاب فلـو تستـ	طيع قامت فعانقتهـا القلـوب
فهي مـاء يجري دمـاء يليـه	وعزالى تنشأ واخـرى تـذوب
كشف الروض راسه واستسر الـ	محل فيها كما استسـر المريب
فاذا الري بعد محـل وجـر	جان لديها لبريـن او ملحـوب
أيها الغيث حـي أهـلا بمغـ	داك وعند السرى وحـين تؤوب
لابـي جعفـر خلائـق تحـ	كيهن قـد يشبه النجيب النجيب

وانتزعت هذه القصيدة ، اعجاب الاديب الوزير ، فلم يستطع الا ان يقول لابي تمام : يا ابا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظـك ، وبديع معانيك ، ما يزيد حسنا على بهي الجواهـر في اجياد الكواعب وما يذخر لك شيء من جزيل المكافأة الا ويقصر عن شعرك في الموازرة .

وقال يعتذر الى ابراهيم والفضل كاتبي عبد الله بن طاهر مـن تأخره عنهما بسبب المطر ، وفيها تظهر مقدرته علـى اختراع الصور النادرة الجميلة :

قولا لابراهيم والفضل الـذي	سكنت مودتـه جنـوب شغافي
منـع الزيارة والوصال سحائب	شم الغـوارب جابـة الاكتـاف
ظلمت بني الحاج الملم وانصفت	عرض البسيطة أيمـا انصـاف
فاتت بمنفعـة الرياض وخيرهـا	اهـل المنازل السـن الوصاف
وعلمت ما يلقى المرور اذا همـت	من ممطـر ذفر وطـين خفاف
شهدت لهـا الانواء اجمع انهـا	مـن مزنـة لكريمـة الاطـراف
ما ينقضي منهـا النتاج ببلـدة	حتى تسر لـه لقـاح كشاف
ان الشتاء على شتامـة وجهـه	لهـو المفيـد طلاقـة المصطاف

وانظر الى قوله في الحسن بن وهب فيقول لـه : انك صفت لي العطاء ، وقد كنت أراه من غيرك كدرا وعسرا ـ ويعبر عن الكدر والعسر بركوب الطحلب للماء ـ ثم يصور نفسه مع ممدوحه في بحبوحة الوادي

وقطع الرياض ، بينما غيره يقف به عند المذنب فلا ينيله الا الوشل :

ابديت لي عن جلدة الماء الذي   قد كنت اعهده كثير الطحلب
ووردت بي بحبوحة الوادي ولو   خلفتني لوقفت عند المذنب

وانظر اليه كيف يصور عطايا وهبات ابي سعيد محمد بن يوسف له :

ممطرا بالجاه والمال ما الـ   ـفاك الا مستوهبا او وهوبا
فاذا ما اردت كنت رشاء   واذا ما اردت كنت قليبا
باسطا بالندى سحائب كف   بنداها أمسى حبيب حبيبا

بل انظر اليه كيف يعبر عن السحب التي يتلالا البرق في اطرافها، وكيف يثير اعجابنا حين يقول ان مسك الطل يسقى كافور الندى ثم انظر الى جمال تصويره لسقوط المطر بالخيوط التي تنحل في الروض:

ومعرس للغيث تخفق فوقه   رايات كل دجنة وطفاء
نشرت حدائقه فصرن مآلفا   لطرائف الانواء والانداء
فسقاه مسك طل كافور الندى   وانحل فيه خيط كل سماء

وانظر الى هذه الصورة الغريبة للمطر ، الذي يذوب فيه الصحو، والصحو الذي يذوب فيه المطر ، ثم انظر الى النضارة التي توشك ان تجعل الصحو يمطر :

مطر يذوب الصحو منه وبعده   مطر يكاد من النضارة يمطر

ويسترسل في القصيدة مادحا الخليفة المعتصم :

غيثان فالانواء غيث ظاهر   لك وجهه والصحو غيث مضمر
وندى اذا ادهنت به لمم الثرى   خلف السحاب أتاه وهو معذر
من كل زاهرة ترقرق بالندى   فكأنها عين اليك تحدر

وابدع من ذلك وصفه لمصرع الافشين ومدحه المعتصم :

وتحدثوا عن هلكه كحديث من   بالبدو عن متتابع الامطار
واعلم بانك انما تلقيهم   في بعض ما حفروا من الآبار

ومما قاله في مدح احمد بن ابي دؤاد :

يا ايها الملك المعروف قبته   فيها حيا المزن الا انه بشر
فمر باذن فان الجدب أرسلنا   وفدا اليك وانت الغيث تنتظر
كنا نقول اذا ما الجدب اوجعنا   صبرا على الجدب حتى يقدم المطر

وقال يمدح الخليفة الواثق :

سيروا بني الحاجات ينجح سعيكم   غيث سحاب الجود منه هتون
فالحادثات بوبله مصفودة   والمحل في شؤبوبه مسجون
الفوا أمير المؤمنين وجده   خضل الغمام وظله مسكون
يا ابن الخلائف ان بردك ملؤه   كرم يذوب المزن منه ولين

وقال يمدح الحسن بن وهب :

الا ويل الشجي من الخلي   وبالي الربع من احدى بلي
سنت عبراته الاطلال حتى   نزحن غروبها نزح الركي
سقى السرطان جزعك والثريا   ثراك بمسبل خضل روي
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا   ويا شبعي اذا غضبي وريي
فمن جود تدفق فيه سيل   على مطر ومن جود أتي

وانظر اليه يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف ويشبهه بالغيث :

ارويت ظمآن الصعيد الهامد   وملات من جزعيك عين الرائد

ولقد اتيتك صاديا فكرعت لي   شيم الذ من الزلال البارد

وافخم من ذلك قوله في عبد الله بن طاهر : لو لم تنتشر افعاله في الدهر كله لافسدت معائب الدهر كل شيء حتى الماء الصافي :

فوالله لو لم يلبس الدهر فعله   لافسدت الماء القراح معائبه
سما للعلى من جانبيها كليهما   سمو عباب الماء جاشت غواربه

واعجب من ذلك ، حينما يصور الشتاء ببعير صعب القياد ، وقد ركبه الممدوح ، فعاصى عليه في سيره ، فضربه ضربة في اخدعيه فذل واطاع :

فضربت الشتاء في اخدعيه   ضربة غادرته قودا ركوبا

بل انظر اليه حين يرد على المبدأ القائل (ما ترك الاوائل شيئا للاواخر) :

فلو كان يفنى الشعر افناه ما قرت   حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت   سحائب منه اعقبت بسحائب

ومما قاله في وصف سحابة ممطرة : ان هذه السحابة متراكمة كثيفة ، مجتمعة كما تجتمع الشيعة حول نقيبها ، مطيعة للريح الهابة من الجنوب الى الشمال ، فلما اقتربت للارض تشوقت لمطرها الغزير، لانها عطشى وفي حاجة ماسة له ، ومن ثم فان هذه السحابة ادخلت على القلوب الاطمئنان لثقة تلك القلوب بأن تلك الغيمة ستقضي على القحط وتاتي بالخصب :

لم ار غير حمة الذؤوب   تواصل الادلاج بالتأويب
كالليل او كاللوب او كالنوب   منقادة لغادر عربيب
كالشيعة التفت على النقيب   آخذة بطاعة الجنوب
محاءة للازمة اللزوب   محو استلام الركن للذنوب
لما بدت للارض من قريب   تشوقت لوبلها السكوب
تشوق المريض للطبيب   وطرب المحب للحبيب
وفرحة الاديب بالاديب   وخيمت صادقة الشؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب   وحنت الريح حنين النوب
والشمس ذات حاجب محجوب   وغربت من غير ما غروب
لذيذة الريق مع الصبيب   كانما تهمي على القلوب

وابدع من ذلك حين يصور المطر ، فمصور الظواهر الطبيعية التي تصحب نزول المطر كالظلمات والبرق والرعد ، فيصورها تصويرا كليا رائعا ينطوي على الحس والحركة فلا يترك اثرا ولا شكلا ولا صوتا :

حماد من نوء له حماد   من ناجرات الشهر لا الدآدي
سارية سمحة القياد   مسورة مبيضة الايادي
سهارة نوامة بالوادي   نزالة عند رضى العباد
قد جعلت للمحل بالمرصاد   سيقت ببرق ضارم الزناد
ثم برعد صخب الارعاد   يسلقها بالسن حداد
واختلط السواد بالسواد   اظفرت الثرى عن تعادي
فروت هاماته الصوادي   لم حملت لمقتر من زاد
هدية من حمد جواد   ليس بمولود ولا ولاد

بل انظر اليه كيف يأخذ معاني الغيث من افواه الذين لا يقصدون ان يخرجوا أربا لانفسهم ، فقد جاء في الاغاني (مر ابو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتك امس فاحتجبت عني فقال له (ان السماء اذا احتجبت بالغيم رجي خيرها) قال من روى عنه الاصفهاني (فتبينت في وجه ابي تمام انه قد اخذ المعنى ليضمنه في شعره فما لبث اياما حتى انشد :

ليس الحجاب بمقص عنك لي املا   ان السماء ترجى حين تحتجب

رغم ذلك فان أبا تمام على حد تعبير دعبل الخزاعي (مات وما استمتع بخاطره ، ولا نزح ركي فكره حتى انقطع رشا عمره) .

الزرقاء ـ الاردن

حمودة زلوم

زكي مبارك: صفحات مطوية من حياته

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

زكي مبارك اديب كبير ، لـه مكانتـه في الادب العربي الحديث ... امضى حياته في خدمة الادب والفن دارسا ومؤلفا وناقدا وشاعرا .. وترك لنا اكثر من اربعين كتابا بعضها باللغة الفرنسية .. ولو لم يكن قدكتب هذا القدر من المؤلفات القيمة لكفانا منه ، كتابه « الاخلاق عنـد الغزالي » وكتابه « التصوف الاسلامي » وكتابه « النثر الفني » وديوان شعره « ألحان الخلود » .

وانه لجحود لزكي مبارك وادبه ان تمر ذكرى وفاته او ميلاده كل عام دون ادنى اشارة من الادباء العرب !

ورايت بمناسبة ذكرى وفاته العشرين في ٢٢ يناير ان انشر على الناس صفحات مطوية من حياة هذا الاديب الكبير .. استقيت معظمها من ابنـه صديقي وزميلي الاستاذ عبد المجيد مبارك .

اسمه في شهادة الميلاد : محمد عبد السلام مبارك ولكن والده اطلق عليه اسم (زكي) لما تكشف له ذكاؤه ، فكان يحلو له ان يناديه (يا ذكي) ، فاصبح هذا هـو الاسم الذي يعرف به .

ولد في « سنتريس » واحبها وكان يفخر بأنه فلاح. وتأثر زكي مبارك ببيئته الريفية تأثرا كبيرا فكان له طوال حياته الكثير من صفات فلاحنا الطيب القلب ، الصريح ، وعرف بالجراة والاعتداد بالنفس وقـد لازمته هـذه الصفات حتى ودع حياته في ٢٢ ينايـر ١٩٥٢ ، وكان لا يكل ولا يتعب من العمل يسير نحـو هدفه بأقدام ثابتة ، وعزيمة قوية ، يعتمد على قدراته ولا يتملق احدا .

تلقى دروسه الاولى في (كتاب القريـة) وكانـت نشأته في طفولته تنم عن رجولته وذكائه وعـن مسلكه في مستقبله . فقد حدث ان ضاعت (مطواة) شيخ الكتاب فاتهم الاطفال بسرقتها ووضع ارجلهم في (الفلقة) ورأى (زكي) ان زملاءه الاطفال يضربون بقسوة فاصر علـى الا يستسلم لعصا سيدنا الشيخ ، فلما جـاء دوره قال : « انا يا سيدنا الذي سرق المطـواة وخبأتها في المنزل » فلاطفه الشيخ حتى يذهب ليحضرها ، وانطلق الطفل الى البيت يخبر اباه عن قسوة الشيخ وانـه الصق بنفسه سرقة المطواة حتى يتخلص من العقاب .

وكان زكي مبارك منـذ طفولته لا يحب ان تقيـد حريته والا يقف شيء في طريق مـا يهواه ويميل اليه . كانت السباحة هوايته المفضلة في صباه .. وكان (شيخ الكتاب) يخشى على اطفال (كتابه) من الغرق ، ولـذا فانه عمد الى ختم كل طفل بخاتمه قبل الانصراف ، فان تلاشى اثر الخاتم عاقبه . ولكـن (زكيا) لا يطيق ان ينقطع عن هوايته فهداه تفكيره الى تقليد الخاتم ، وكـان ينزل الى الماء كل يوم ثم يختم فخذه قبل ان يذهب الـى الكتاب .

كان زكي مبارك ثائرا منذ طفولته فهذه ثورته علـى الاوضاع في مدرسة القرية ، وكان له ثورته ايضا وهـو طالب بالازهر .. لقد مال زكي الى الشعر والادب وخالف تقاليد الازهر ، فنظم في الغزل والتشبيب ، وكان هـذا يتنافى مع وقار الازهري .. لقد كان زكي مبارك الفتـى الازهري ينشد آفاقا ابعد من المتون والشروح والحواشي .. كان يحلم بمجده في عالم الادب والشعـر .. واعجب بالمنفلوطي واخذ يقرأ له ولمحمد السباعي ونسج علـى منوالهما وقد قال في ذلك « .. اما المنفلوطي فكان يجذبني اليه طبيعته السمحة، وقلمه الطيع، وقلبه الزاخر بالعطف والحنان . واما محمد السباعي فكـان يحملني علـى احترامه بصره باللغة العربية وذكاؤه الذي يتمثل في احياء الالفاظ والتعابير » .

ورأى زكي مبارك ان الدراسة بالازهـر لا تشفي غليله وتروي عطشه وترضي ميوله ، فهـو يريد دراسة الآداب العالمية ولم يجد في الازهر في ذاك الوقت ما يمكنه من هذه الدراسة ، فتركه ولجأ الـى الالتحاق بالجامعة المصرية عام ١٩١٣ فقيل له ان من شروط الالتحاق بهـا ان يعرف الطالب لغة اجنبية بالاضافة الـى اللغة العربية ، فأكب على دراسة اللغة الفرنسية وتمكن مـن اتقانها في ثلاث سنوات بذل فيها الجهد المضني وكان يسوقه حلمه بدراسة الآداب العالمية الى مواصلة ليله بنهاره .. كـان الشاب زكي مبارك وهو يدرس اللغـة الفرنسية يمني نفسه بالسفر الى الخارج للدراسة بالجامعات الاجنبية ليحصل على ارقى المؤهلات ويعود الى وطنه اديبا عظيما.

والتحق زكي بالجامعة المصرية عام ١٩١٦ ودخـل كلية الآداب وترك نظم الشعر وانصرف الى دراسة الادب والفلسفة ، وكان وهو طالب يلقي محاضرات عن « شاعر الحب والجمال عمر بن ابي ربيعة » تحت اشراف الدكتور احمد ضيف .. واندلعت ثورة ١٩١٩ فانطلق زكي مبارك الثائر مع الثوار فاعتقلته السلطات البريطانية ، ونشرت صحيفة الاهرام في ١ – ١ – ١٩٢٠ ما نصه : « اعتقـل البوليس صباح أمس الاستاذ زكي مبارك وهـو شيخ معروف بذلاقة اللسان ، والنظم الرشيق ، وكان لـه في كل اجتماع كلمة يلقيها او قصيدة يتلوها » .

وخرج زكي مبارك من المعتقل وعاد الى الجامعـة فنال شهادة الليسانس في العلوم الادبية والفلسفية عـام ١٩٢١ ونال بعدها بثلاث سنوات درجة الدكتوراه وكانت

رسالته « الاخلاق عند الغزالي » .. ثم تطلع الى باريس وقال في ذلك : « اللهم لا تمتني قبل ان ارى بعيني كيف يدرس العلم في الممالك التي اصبح اهلهـا سادة الامم واساتذة الشعوب » ... وسافر الى باريس عام ١٩٢٧ ، وكان يقيم بها اربعة شهور ثم يعود الى القاهرة ليحصل على ما يساعده على الاستمرار في دراسته . اسمعه يروي لنا هذا بنفسه : « كنت اشطر العام شطرين ، اقضي شطره الاول في القاهرة حيث اؤدي عملي ، واجني رزقي . واقضي شطره الثاني في باريس كالطير الغريب ، احادث العلماء ، واستلهم المؤلفين الى ان ينفد ما ادخرته او يكاد ، ثم صممت على ان انقطع الى الدرس في جامعة باريس حتى انتصر او اموت ... » واخيرا انتصر الشاب المكافح وحقق حلمه فنال الدكتوراه الثانية عـام ١٩٣١ وكانت رسالته « النثر الفني في القرن الرابع » وقدمـه باللغة الفرنسية .. وكان لكتابه « النثـر الفني » دوي كبير ولكن كيف استقبلتـه وزارة المعارف في ذلـك ؟! اسمعه يحدثنا عن هذا : « هـل تعرفون كيف استقبلته وزارة المعارف الموقرة ؟!.. اشترت منه (اربعين) نسخة فقط لان مؤلفه ليس لـه في الحكومة المصرية عـم او خال ...! » ونال زكي مبارك الدكتوراه الثالثة وكانت رسالته « التصوف الاسلامي » ..

عمل مدرسا في الجامعة المصرية.. ومفتشا للتعليم، واستاذا في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وبعض المدارس الاجنبية ، واستاذا للادب العربي بجامعة بغداد ..

وحورب زكي مبارك وتكاتف كثيرون علـى هدمه وذلك لجراته وصراحته واعتزازه بنفسه ... فنقم على الاوضاع عندما رأى ان من هم اقـل منه بكثير يحظون بأرقى المناصب وظهرت ثورته في نقده القاسي وفي ثنائه على نفسه وكان يوقع في المجلات الادبية باسم « الدكاترة زكي مبارك » .

هذا هو زكي مبارك من الناحية العامة والآن انتقل الى زكي مبارك في حياته الخاصة وقد استقيتها كلها من نجله ، زميلي وصديقي الاستاذ عبـد المجيد مبارك .. واعتقد ان الناحية الخاصة من حيـاة الاديب والفنـان والعالم لا تقل اهمية في دراسة حياة هؤلاء عـن الناحية العامة .. وعيب التراجم عندنا انها تخلو مـن الحياة الخاصة لادبائنا لان البعض يعتقد انه ليس من اللائق ان نخوض هذه النواحي الشخصية او نتعمق فيها .. ويهتم كتاب التراجم في الغرب بالحيـاة الخاصة للشخصيات العظيمة لانها هي المرآة التي يراه فيها الناس على حقيقته دون ادنى رتوش ، وهي امر يلذ للمعجبين به ان يعرفوه عنه ليصلوا الى اعماق نفسه .

كان زكي مبارك يؤثر الهدوء على الجلبة ، ولذا فانه خص نفسه بالطابق الثاني من مسكنه حتـى يتيح لنفسه الهدوء بعيدا عن ضوضاء اطفاله ، وكان يتصل بافـراد اسرته بدق الجرس بطريقة يعرف بها كل فرد مـن افراد الاسرة انه هو المقصود .

كان يسهر خارج المنزل حتى الساعة الواحدة بعـد منتصف الليل ويعود وينـام ساعتين فقط ثـم ينهض الساعة الثالثة صباحا ويكتب حتى السابعـة صباحا ، وكان وهو يكتب لا يستريح بالجلوس على مكتبه بل كان يجلس فوق (شلتة) على الارض .. وكان يشرب الشاي بعد ان يفرغ من الكتابة لا اثناءها .. ثم يخرج الى عمله.

وكان لا يعود الى بيته مباشرة بعد ان يفرغ من عمله بل كان يعرج على (بار توفيق بميدان عرابـي بالقاهرة) وقد اتصلت بالخواجة اليوناني صاحب البـار وحدثني كثيرا عن زكي مبارك .. واراني ايـن كان يجلس .. ويكتب في البار ويجتمع بالمعجبين به هناك ..

وقال لي ابنه انه كان يقضي معظـم وقته خارج المنزل في عمله ثم في البار ، وانه كان لا يحب ان يـزار في منزله ، بل كانت كل مقابلاته لاصدقائه ومريديه ومعارفه خارج المنزل .

وكان لا يتناول طول اليوم الا وجبة واحدة هـي وجبة الغداء ، وكان يتناولها بمنزله مع اسرته في الساعة الثالثة ثم ينام بعدها ساعتين .. وكان يشغل وقته بين السادسة والسابعة مساء بالاتصال بالاصدقاء تليفونيا من منزله ليرتب امر سهرته ، وغالبا ما كان يمضي هـذه السهرة ببار توفيق ليكتب ويتناقش مع من يلتقون بـه هناك من الثامنة والنصف مساء حتى منتصف الليـل او بعده بساعة وكان يلذ له ان يسمع احد المعجبين به يقرا له اشعاره ويناقشه فيما يظهر له من مقالات في الصحف والمجلات .

كان يحرق خمسين سيجارة في اليوم ، ويقول ابنه انه كان لا يبلع الدخان وقد قال له ان التدخين لا يلـذه مطلقا وانه (ليس مزاجا عنده) ، بل كان يحلو لـه حرق السجاير ، وكـان يكتب معظـم اشعـاره علـى علب السجاير .

قال لي الاستاذ عبد المجيد (ابنه) : (لو لم يكـن والدي اديبا لكان مغنيا) فقد كان صوته جميلا وكثيرا ما كان ينشد اشعاره ويتأثر وهـو ينشدها .. وكان يحب الاغاني العاطفية ، ويفضل اغاني ام كلثوم وكان يبكي عندما يسمع لهـا اغنيتها « فضلت اعيش في قلـوب الناس » ، كان الرجل يتغنى بالحب والجمال .. وكـان الجمال يستهويه في كل صوره : جمال اللفظ وجمال المراة وجمال الطبيعة . وكان يبدو في كتاباته واشعاره عاشقـا لها ... لامه احد اصدقائه بقوله : ما قرات لك كتابا او قصيدة الا رايتك مشغولا بالحب فما هـذا الاسراف ؟ قال : لا تؤاخذني ، فانا اريد ان املأ اقطار قلبي بالحب حتى لا يوجد فيه مكان للبغض .

والآن قد تعجب عندما اكشف لك الجانب العاطفي

الحقيقي في حياة زكي مبارك . كان لا يعشق المرأة كما هي بل يعشقها كصورة في عقله وقلبه .. ان من يقرأ له يظن انه قد عشق كل امرأة وقع عليها نظره والحقيقة التي ذكرها عنه ابنه انه كان ينظر الى المرأة نظرة تحقير وكان يقول عنها انها مخلوق وضيع ، وقد يرجع هذا الى صدمة غرامية وكان يوصي ابناءه الذكور بعدم الزواج ويقول لهم : « ان الزواج غلطة العمر » وقد يكون مرجع هذا ان الزواج ومسؤولياته الخطيرة كان من المضايقات الكبيرة التي اتعبته ابان سفره الى فرنسا للتحصيل وتحقيق آماله الكبار ، كما ان الزواج ايضا هو الذي اكرهه على العمل كموظف صغير تحت امرة اناس كان يعتبرهم اقل منه بكثير الامر الذي كان يحز في نفسه ويؤلمه ، فقد كان يود ان يكون حرا يعيش لادبه وانتاجه ، ولكن مسؤولياته المادية كرب اسرة ، ليس له مورد مالي منتظم غير ما تدره الوظيفة ، اكرهته على البقاء موظفا في وظائف كان غير راض عن العمل بها لانها لا تليق به .

وكان زكي مبارك رغم تحقيره لانتاج بعض زملائه الادباء الكبار يقرأ للكتاب الناشئين ويمتدح اعمالهم ان كانت تستحق ذلك .. كان كثير الاطلاع يشتري يوميا الصحف والمجلات التي تظهر ، ويقرأ الكتب الفرنسية ، وكان احب الكتاب الفرنسيين اليه « اناتول فرانس » لدرجة انه فكر في تقديم رسالة دكتوراه عنه .. وكان يحب اشعار حافظ وشوقي وناجي ويعجب بأدب ابراهيم المازني وشخصيته .

وكان زكي مبارك ابا عطوفا يحرص على ان يناقش ابناءه فيما يراه صالحا لهم حسب ما تمليه عليه خبرته في الحياة ، وكان يحدثهم كثيرا عن مشاهداته في فرنسا والعراق ... وكان يحب الاستماع الى حديث «بابا شارو» حديث الاطفال ، ويضرب لابنائه الجرس ليفتحوا الراديو عندما يأتي ميعاد هذا الحديث ... ولكن حبه للهدوء كان يحرمه من الاجتماع كثيرا بابنائه ، وقد كان غير مسموح لاحد منهم ان يصعد الى الطابق الذي خصصه لنفسه الا اذا طلبهم .. وكان لا يرد على التليفون عندما يجلس للكتابة .. واحب كتبه اليه كتاب « النثر الفني » وقد حصل به على الدكتوراه الثانية من باريس عام ١٩٣١ .

ويقول عنه ابنه انه كان يمتاز بالوفاء وابرز خصائصه الاعتزاز بالنفس ، لا يعرف المداهنة ولم يكن ذيلا لاحد مطلقا ولذا تقدم عليه الذين يتقنون المداهنة والتملق ، وبقي هو في مكانه ينظر باحتقار الى النفوس الضعيفة ، ولذا فانه مات وهو في الدرجة الثالثة ، وقد كان في امكانه ان يصل الى الوزارة بسهولة لو انه كان هتافا ومداحا لاحد زعماء ذلك الوقت ، او سخر قلمه لحرق البخور لاحد رؤساء الاحزاب .. ولكنه آثر ان يحتفظ بكرامته وعزة نفسه ويعيش لادبه حتى وان مات جوعا ، فبقي حيث هو وحورب في رزقه عدة مرات ولكنه لم يتداع وهاجم كثيرا من الاوضاع الفاسدة فكانت هذه المهاجمة من العوائق التي حالت دون وصوله الى ما يليق به وبأدبه من مكانة ... ومات زكي مبارك الاديب الثائر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو باربعة شهور ، وما كان يسعده شيء اكثر من ان يشهد قيامها لمحق دولة الظلم .

القاهرة — ايليا حليم حنا

حزن الآفاق

غامت الدنيا حينما سمعت غزو جزر الخليج العربي فكانت هذه الكلمات المظلمة

الليل تعثر فانسكبا
واحاط العالم بالظلمه
والبحر تطاول واصطخبا
وتخطى منعطف الغيمه
ورمال البيد غدت كثبا
فاضاعت دربي ومحت رسمه
وانــا وحدي
أبحث عن كهف يؤويني
عن شفة ولهى
تقرأ اشعار العشاق
وتحدث عن حب المجنون

الفجر تبعثر في الافق
وانتحرت انجمه الحيرى
وانتحبت أطياف الغسق
والقمر الشاحب قد فرا
وبقي الناجون من الغرق
في منعطف الوادي سكرى
عبثا امشي
عبثا اشتاق الى الدرب
مات النــور
وسرى حزن في الآفاق
وخبــا قلبي

جامعة الكويت — احمد مطلوب

المدينة مرسومة امامي على كف عفريت . حركةدائبة ، كراس مغزل مشدود الخيط من قبل امراة ، نشيطة . سيارات ملونة لا تنفك تسير وتنعطف ، اناس يجرون في الطرقات . كل يجري خلف شيء غامض ، صخب مزمن رافق المدينة مذ وجدت .

لكني .. لا اشاهد من هذا الصخب سوى الحركة العديمة الضجة ، والخرساء ، فكيف يصلني الصوت وانا على هذا العلو الشاهق، ادخن غليوني خلف هذا الزجاج النظيف الذي يشبه نفسي .

كعادتي احب مراقبة الصخب من خلف شيء حيث اكون في مأمن من الصدمات ، ورشاش الطين ... لا احب ان استرق ملاحظتي حارة ، فحرارة الملاحظة ليس منها ، بل مني ، لو كنت ضمن هذا الصخب ، صوتا من اصواته ، وانزعاجا من انزعاجاته ، لابعدني الضيق والتأفف عن لمس الروعة ، الروعة التي تكمن في الحركة ، شيء مثير ان نشاهد آثار الحياة ، وذاك لاننا نكره الموت ، ودلائل الموت التي هي السكون والجمود وعدم الحركة .

لا شك ان احساس الناظر الى روعة البحر ، يختلف عن احساس السابح في مياهه ، وبحثا عن ملوحة البحر الزاخر من الناس والسيارات نزلت الى الارض ، وتجولت في الشارع التقط الاشياء الفنية من الزوايا المهملة ، واعبيء بها ريشتي . واحولها الى لوحات .

وجدت شرطيا صارم النظرات ، (كدركي تركي ايام العثمانيين) كان واقفا تحت مظلته ، وفي فمه صفارة غريبة ، جسمه مختف ضمن لباسه الرسمي ، وراسه معبأ في قلنسوة كبيرة . سألته :

ــ ماذا تفعل هنا ؟

ــ اطبق قوانين السير .

ــ النظام ؟

ــ طبعا .

ــ ولكن ما فائدة النظام ؟ ــ دع الامور على طبيعتها .

ــ جنون ما اسمعه الان ، هل نعود الى زمن الفوضى ؟

ــ لا . ولكن النظام قيد هائل من قيود المدنية الحاضرة .

ــ لا مدنية بغير نظام .

ــ تكون الحياة اجمل وامتع هناك في خيمة . صوت الديك والصرصور . والرعد والريح .

ــ اذهب الى هناك من حشرك في المدينة ؟ .

ــ اتحب انت النظام ؟؟

ــ دون شك .

ــ الا تشتم وقوفك هذا ،وتتمنى لو تجلس على كرسي تحتسي كئوس الشاي مضجعا .



بقلم السيدة ضياء قصبجي

ــ كلا ...

ــ الا تضايقك ابواق السيارات المتواصلة ؟ ، والمخالفات المتكررة ؟، الا تتمنى ان تكون في وظيفة اخرى؟

ــ كلا .

ــ هل انت صادق ؟ ، ام تراك لم تعمد الى تحليل ذاتك .

ــ دعني وشأني .. لا تعطلني عن واجبي انا اكره الكلام الفارغ من متسكع خرف .

ــ انا متسكع خرف . يا للطرفة ؟ انفجرت ضاحكا ، وسرت بين

قصة

حشود الوجوه العابسة الضجرة اضحك وحدي . اقناعي لم يؤثر فيه ، انه انسان يستحق احترامي، فانا احترم العنيد المتشبث برأيه واكره الذي يتقمصكل راي يعرضه غيره كالبضاعة المموه عنها من اجل البيع . احاول التأثير في الغير ، وانا ضمنيا احبذ من يرمي بآرائي وتأثيري فيه ، ويبقى معدنه ظاهرا لا شائبة فيه .

هذا ما اوصلتني اليه زوجتي ، تلك التي لا استطيع امساكها بفكرة دائمة ، مهما سعيت الى هذا . انها متلونة كالحرباء ، فانا اعيش يوما مع جارتنا (وديعة) المراة المغرورة التافهة التي لا تنفك تعلم ..زوجتي على شراء كل شيء جميل ولكن لا لزوم له . ويوما آخر مع زميلتها في العمل ، تلك التي تتبارى واياها على اقتناء اكبر واحدث مجموعة ثياب . مما يدمر جيبي ويضطرني للدين . ان زوجتي حقا طبقا لآراء ... الغير ، ذلك لانها ليست ذات راي ، شيء قاس ما اعانيه ، شيء دعاني ويدعوني دائما للبحث عن امراة ذات راي حديدي لا يصدأ .

هل طبعت المراة على تهلهل الراي ؟ بالطبع كلا ، فانا اعرف امراة . تصر على صحة افكارها الذاتية اصرارها على الخروج الى الشارع بثياب امراة متزنة ذات شخصية قوية .

وباعتباري باحثا عن العجائب .. ومقتنيا للتحف النادرة . سواء اكانت على هيئة انسانيضفي الروعة على وجودي ، ام على شكل (فاز) أزين به صالوني الانيق .

فلقد اقمت مع الانسة (عايدة) علاقة سامية ، استمتع في وقتي معها ، بعنادها واصرارها على ما تكون لديها من قناعة شخصية . تعجبني المراة المفكرة ، واني مغرم بكل بضاعة نادرة في سوق تقويم البشر . قلت للانسة عايدة ونحن في مقهى صيفي شاعري ، ينساب فيه البط على صفحة مياه محصورة

في بركة :

– ماذا يا عايدة ، الا يلومك الناس على علاقتك مع متزوج هو انا . ؟ ضحكت .

– هذا يزيدني اصرارا عليها .

– رائعة حقا . لو كانت اكثر النساء مثلك لتغير وجه الدنيا ، لو كانت زوجتي .. لــم اكمل فأردفت :

– ضعف النساء هو الذي بث في القوة .

– لو كان في امكاني ان اقلب الدنيا واتزوجك ، قالت :

– لكنت رفضت .

– ولم يا عايدة ؟

– ابتدأنا بعلاقة لفظية .

– الا تعتقدين بوجود ارتباط بين اللفظ وشيء آخر ؟ .

– لا اعتقد .

– اخشى ان تتزوجي فأفقدك .

– اني اختلف عن النساء .

– هذا ما يشدني اليك .

★

ذات مرة مررت في تلك البقعة من الارض التي يطبق فيها القانون رجل صارم .

وجدت الشرطي العنيد نفسه ، كان واقفا ولكنه لا يتحرك ، ولا ينفخ في صفارته ، ولا يعطي الاوامر .. احزنني هذا ، وكانت عيناه مختبئتين تحت نظارتين قاتمتين ، ناديته فلم يجب ، هززته واذا به ينتفض . كان مطبق القانون يغط في النوم ، والمخالفات تجري من امامه . لكن هيكله فقط اجبر البعض على التمسك بالنظام ، كم يختلف الان عنه في الوقت الذي مضى ؟ كنت اجله ، والان احتقره . ايقظته بقسوة .

– ماذا ؟ أتنام وتترك الامور في المدينة كشأنها في الغابة ؟

ما ان وقع نظره علي حتى دهش وقال لي بقسوة وغضب :

– انت .. ؟ عليك اللعنة . اليست افكارك هي التي اوحت لي بكره عملي ؟ اذهب من هنا ، وقلت في نفسي : اليس هناك انسان لا يتأثر بالثرثرة ؟ لعن الله الثرثرة .

اني اشتري الصمت بكل ما املك . اشتري الصمت ولكن بصمت ودون مساومة . فاصمتوا ايها الناس لتسير الامور في مكانها الطبيعي . اصمتوا ارجوكم ..

★

اجتمعت مع صديقتي عايدة ، ذات الرأي والارادة . قلت لها :

– الم تتغيري بعد الزواج ؟؟؟ قالت ضاحكة :

– زوجي ابكم .

★

في الليل ظلت زوجتي تتحدث وتطلب وتلح ، خلال ساعة كاملة ، وانا صامت اخفض راسي الى اسفل علامة الطاعة ، ولم تنفرج شفتاي بكلمة . احسست بالتمزق ، فانطلقت من البيت .

كنت وحدي في طريق تعصف فيه الرياح ، فتتلاعب بالاشجار بشكل مهين ، تكاد تقتلعها وتلقيها وهي الثابتة ، كانت الريح ايضا تلطم قماش بنطالي بقوة وتصفع ساقي ، ضحكت ، ماذا تريدين ايتها الريح ؟ ضحكت وحدي في الطريق ، وخيل الي انها امراة دون قيم ، ركضت هاربا من الشارع الخالي صفعتني حفنة من تراب على وجهي وعيوني ، تضايقت ، وسألت نفسي ، الى اين انا ذاهب ؟ وفي سبيل اي شيء اتحمل هذه المشقة ؟ كل الذي اعرفه ، اني هربت من ثرثرة زوجتي . فتلقفتني ثرثرة الريح ، ولكن .. اذا هربت من الاثنتين ، فأين اهرب من ثرثرة وجداني ؟ .

حلب **ضياء قصبجي**

وندفن الحلم

★

سقط القناع وغامت ال — رؤيا ولم يولد نهار
وغدوت مسكونا بحز — ن صامت سئم الحوار
لا الوجه منسي ولا — عيناي هزهما انتظار

وتدفقت باليأس أح — لامي وكنت بها قرير
أطوي عليها أضلعي — لكأنها وعد كبير
ويريق جفناي الرضى — ويحيلني طفلا صغير

كفي عن التذكار يا — ليلى فما قيس بعائد
كفى فان رواحه — باق كأبخرة المعابد
والدرب ممدود الخطى — مهما طفى قلب معاند

دمشق **سلافة العامري**



قسطنطين تيودوري

ماذا يفهم الناس من الحرية ؟

بقلم قسطنطين تيودوري

***

ما هي الحرية ؟ عرف بعضهم الحرية بتعاريف مختلفة ، فمنهم من قال انها استقلال الانسان عن أي شيء ، ما عدا القانون الخلقي ، ومنهم من قال انها القدرة على التصرف طبقا لما تحدده الارادة ، ومنهم من قال انها الاحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد قدرة الانسان على تحقيق سعادته ، ومنهم من قال ان الحرية هي الحالة التي يكون فيها الانسان سيد نفسه ، وغيرهم قال ان الحرية هي الاستقلال الذي يملكه الفرد ازاء المجتمع الذي هو جزء منه من حيث ان هذا الاستقلال هو حق من حقوقه .

وقد قرأت مؤخرا تعريفا للحرية يقول انها الاستقلال المطلق والاكتفاء الذاتي ، الا ان هذا التعريف مغلوط ، اذ ليس في مقدور احد ان يستقل استقلالا تاما عن غيره ويكتفي بذاته ، دون ان يعتمد على مساعدة الآخرين له ، فنحن مقيدون في بيئاتنا ومحدودون في مقدرتنا الذاتية ، فلا يستطيع كل واحد منا ان يكون موسيقيا عظيما او عبقريا من العباقرة ، فلسنا اذا احرارا مئة بالمئة لنكون ما نريد ، لان طبائعنا البشرية تقيدنا وظروفنا الخاصة وعوامل وراثتنا تتحكم فينا . لذلك فالانسان ملتزم بالمحيط الذي يمارس فيه حريته ، بمعنى انه يجد نفسه متلبسا به ملتحما واياه ، وهو يشعر بأن المبادىء التي تتكون منها عناصر هذا المحيط تمثل قيودا تحد من العقل الحر في انطلاقه ، ولكن يجب الا ننظر الى هذه المواقف على انها قيود بكل ما في كلمة قيود من معنى ، انما يجب ان نعتبرها اطاعة لقانون داخلي قد الزمنا انفسنا بمراعاته ، لا خضوعا لارادة متسلطة علينا خارجة عنا ، فالانسان المتمدن في البيئة المتمدنة يقيد حرية نفسه في مجال تصرفه مراعاة لغيره وذلك وفقا لقانون الاخلاق كما سابين ذلك فيما بعد .

● القيت في نادي الموظفين التابع لجمعية الشابات المسيحيات ببيروت .

ولعل أفضل وصف للحرية – على ما اعتقد – هو ان يشعر المرء بكرامته وما يختلج في صدره من عواطف الشمم والاباء التي تحول بينه وبين الخضوع لرأي يملى عليه ، او عقيدة لا يقرها عقله او يرتاح اليها ضميره ، على ان يحس في الوقت نفسه بما عليه من واجبات نحو المجتمع ، وله ان يجاهر بما شاء من الاراء على ان يحترم حرية الآخرين في ابداء آرائهم .

وقد وصف الفيلسوف الانكليزي جون لوك في اواسط القرن السابع عشر الحرية بقوله: « ولد افراد المجتمع احرارا بحكم الطبيعة، ولهم حقوق طبيعية في حياتهم وحريتهم وابدانهم ، فالله وهبهم هذه الحقوق لانهم خدامه وخلائقه » . وقال عمر بن الخطاب في هذا المعنى : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » ؟ وقد اعجبني قول الكاتب الاجتماعي الانكليزي توماس باين في القرن الثامن عشر في الحرية حين قال : « ان الناس مولودون احرارا متساوين وان هدف جميع المجتمعات السياسية انما هو صيانة حقوق الانسان الطبيعية » . فالحرية بناء على ما قاله توماس باين تحقق للمرء حقوقه الطبيعية ، وتتيح له ان يكمل نفسه ويظفر بشخصية موفورة الكرامة، كما ان المساواة تسير جنبا الى جنب مع الحرية ، فهي التي تكسب الانسان حظا من الانصاف يعصم القوي من الاستعلاء ، والغني من التحكم في الفقير ، والقادر من التفوق على العاجز . فالحرية والحالة هذه مؤتلفتان ولا غنى للواحدة عن الاخرى .

صفات الرجل الحر

من صفات الانسان الحر ان يحترم شخصه ويعرف قدر نفسه ، ويتثبت بفكره ومعتقده ، ويثبت في الدفاع عنهما متى هداه العقل المجرد الى صوابهما ، ان لا يسلم بقوة الاكثرية وينزل على حكمها بخنق فكره والتضحية بحريته في سبيل هذه الاكثرية متى كان يؤمن انها على خطا وانه على صواب . نعم قد يتعرض من أجل ذلك لمختلف التضحيات ، ولكن التضحيات التي بذلها وما زال يبذلها احرار الفكر كانت مبعث الاصلاحات ومصدر الانقلابات التي عادت على البشرية بالخير العميم. وكم لقي الاحرار في سبيل الحرية كل ضروب الاضطهاد ، وكثيرا ما استشهدوا في سبيل الدفاع عنها والابقاء عليها . ولا تنسوا ان سقراط الفيلسوف اليوناني قد وضع حجر الاساس لصرح الفلسفة والحرية ، فاطلق لتلاميذه ورفاقه حرية البحث والجدل والنقاش حبا ببلوغ الحقيقة ، وقد سقاه اعداؤه السم فكان من اول شهداء الفلسفة ومن اعظم شهداء الحرية .

وكان اول من فتح باب الاستشهاد في سبيل الحق والحرية القديس استفانس الذي عاصر بولس الرسول . واستشهد الكثيرون من المسيحيين في القرن الثالث للمسيحية دفاعا عن الحق والحرية ، واستشهد بعد ذلك الكثيرون من رسل السيد المسيح واتباعه في هذا السبيل ، ومات غيرهم كثيرون شهداء الحق والحرية نذكر على سبيل المثال احرار العرب في تاريخنا الحديث الذين استشهدت اول قافلة منهم في ١٤ آب عام ١٩١٥ ، واستشهدت القافلة الثانية منهم في بيروت في ٦ ايار سنة ١٩١٦ .

ويحضرني الآن ما قاله زعيم الهند غاندي في هذا المعنى : « ينبغي ان توسع ابواب السجون لكي تستقبلنا افواجا ، فطريق السجن والاضطهاد هو طريق الحرية والنصر . ينبغي ان ندخل السجن فرحين كما يدخل العريس غرفة الزفاف ، لان الحرية لا تخطب في المحاكم

والمدارس والمؤتمرات بل وراء اسوار السجون » .

تعلمون ان المال قوة هائلة من قوى الاغــراء ، فبالمال تشـترى الضمائر وتخنق الافواه ويهدر دم الحرية ، وكم من شخص حر عظيم تسمم ضميره فخان فكره وانكر رسالته خاضعا لسلطان المال ، لذلـك يجب ان يترفع صاحب الفكر عن مغريات المال وسلطان المال اذا اراد ان يؤدي رسالته بامانة ونزاهة اذ لا يستطيع المرء ان يعبد ربين ـ كما قال السيد المسيح ـ الله والمال ، وقال احـد الفلاسفة الفرنسيين : « ليس في مقدور الانسان ان يعبد الحرية وعينه الخبيثة ترمق المال » .

اذا كان المرء متصفا بالحرية استطاع ان يخلق ويبتكر ، استطاع ان يبدع الاعمال الذهنية التي توجد الحضارة وتتمثل فيهـا قيمـة الحياة ، استطاع ان يهيم بارادته نحو الخير الاعظـم ، استطاع ان يقبض على ناصية الحق والحق يحرر صاحبه كما قال السيد المسيح : « تعرفون الحق والحق يحرركم » يوحنا ٨ : ٣٢ ، والحق والحريـة صنوان لا يفترقان ، فالحق يلد الحرية والحرية تدعم الحق ، الحـق يحرر الانسان من الخوف وعذاب الضمير والذات المتمردة التي هـي العبودية .

الحرية والمسؤولية الادبية

وفي طيات الحرية تبرز المسؤولية الادبية ، فالانسان يفعل مـا يحب ويشتهي ، خصوصا اذا كان ما يفعله شرا ، وقديما قـال فيلسوف المسيحية بولس الرسول : « لان ما اريده من الخير لا اعمله بل ما لا اريده من الشر اياه أعمل » رومية ٧ : ١٩ ، ولكن لا مندوحة للانسان عن ان يحس في نفسه بالراحة والطمانينة على اثـر فعلـه الخير ، وبالاسف والندامة بعد اتيانه الشر ، ومعنى هذا ان المرء يجب الا يفعل كل ما تصبو اليه نفسه ، بل كل ما يجب عليه عمله اي كل ما هو حق وصواب ، وهذا امر يفرض المسؤولية الادبية علينا ، وهذه المسؤولية تفرض الحرية ، اذ من المعلوم انه حيث لا حرية فلا مسؤولية ، وعلى هذا فالانسان مسؤول بقدر ما اتيح له من حرية ، واذا حاول الانسان التهرب من المسؤولية اضحت حياته دون معنى ولا غاية .

حريـة الكلمـة

ان حرية الكلمة هي حرية الكلام والانتقاد وهي ارقى انـواع الحريات لانها ارادة التعبير عن الراي ، ومظهر الاحترام لكرامة الانسان في اخص ما يميزه عن الحيوان الاعجم ، فحرية التعبير عن الراي تعد في النظام الديمقراطي اقدس الحريات ، لانها تحمي الحريات الاخرى وتخلـق مجتمعا حرا ، وهذه هي الصحافة حرة في نشر الاخبـار والمقـالات والتعليق عليها كما تشاء ، وهي اهم وسيلة يعرف بها الشعب ما يجري من الامور هنا وهناك ، ثم هي الاداة الاولى لتكوين الراي العام وتمكينه من ابداء ما يرى من الانتقاد ، وفي الوقت نفسه اذا حاولت حكومة ما اخماد حرية الفكر واسكات صوت الحق ، تصدت لها الصحافة واثارت ضدها الراي العام .

التسامح والحرية

ما قيمة المبادىء والآراء التـي يفرسها التعصب في النفس وتفرض بالقوة على الناس ؟ انها تولد روح تمرد وثورة وانتفاض ، وسرعان مـا يلتجىء الاحرار الى وسائل القـوة والعنف . اذا التعصب يغـري بالثورة والثورة تغري بسفك الدماء ، امـا التسامح فيقر السلام بـين ابناء الوطن الواحد ، ويحيل المعارك العاطفية الدموية الى معارك فكرية لا بد ان تخرج منها الحرية فائزة لمصلحة الافراد ومجموع الامة. فالتسامح والحالة هذه دليل الحرية ، لانه دليل على النضوج العقلي، وكلما نضج عقل الفرد ازداد ميلا الى الحرية والتسامح ، وكلمـا نضج عقل الامة ازدادت تبرما بالنظم الاوتقراطية ، ومتى ارتقت تربية الخلق وتسامت تربية العقل اتجه الفرد من تلقاء نفسه نحو الحرية . ولا شك في ان الفرد اذا تعلم وتحرر استل الفكر من غريزته جرثومة التعصب ، اذ لا حرية مع التعصب لعقيدة او جنس ، لا حريـة مـع التعصب العنصري الذي هو اكبر معول يهدم الحرية من أساسها ، والامة القائمة على التعصب العنصري مكتوب لها الانعزال والانكماش على نفسها ثـم التشتت فالاندثـار .

الاخلاق والحريـة

الاخلاق في نظر الفيلسوف الالماني كانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) الذي بشر بالحرية وخلود النفس وبوجود الله تقوم علـى الحرية ، وفي كتابـه « نقد العقل العملي » يحدد لنا قانون الاخلاق مـن الناحية النظرية ، ثم ينتقل الى الناحية العملية ، لانه كان يرى انه مـن الضروري ان يكون علم الاخلاق قابلا للتطبيق في معاملات البشر وتصرفاتهم المختلفة وان تبحث الافكار المرتبطة بالاذهان بتحقق المثل الاعلى الاخلاقي في غمار حياتنا اليومية . ويقول هذا الفيلسوف ان الشرط الاول الـذي يجب توفره حتى يصبح المثل الاعلى الاخلاقي حقيقة واقعة هـو الحرية . وفي رأيه انه حيث لا تكون حرية لا تكون اخلاق ولا اخلاقية من غـير حريـة .

اساءة استعمال الحرية

اما الحرية المزيفة الكاذبة التي يفهم منها اربابها التغاضي عن المبادىء القيمة والقيم الروحية والنظم الاجتماعية ، فيهـدف ناشرو لوائهـا ـ سواء أكانوا افرادا ام جماعات ـ الـى تضليل العقـول وافساد النفوس ومساواة الحق بالباطل والرذيلة بالفضيلة ، وايهام الناس بانهم على حق وصواب ، فهؤلاء يبذلون قصارى جهدهم لاعلان هذه المبادىء الهدامة ، ونشرها بين الورى باسم الحرية ، ولكن سرعان مـا يكشف أمرهم وتعلن طويتهم ، فيعرض عنهم كل ذي عقل سليم ، وكل من فيه بقية من مبدا او ضمير .

ان الحرية هي في منزلة السائل الحيوي المندفع في العروق ، ولكن اذا اسيء استعمالها كانت شرا ونقمة ، فاذا اطلقت من عقالها وتجاوزت حدودها ، ولم يحطها رادع من عرف او تقليد ، كانت الفوضى بعينها ، تسمح للقوي باستباحة حق الضعيف ، وللخبيث بالتلاعب بالنزيـه ، وللجشع بالاستئثار بجهود العامل واتعابه ، وبعبارة اخرى تضحـي عدوانا على حرية الآخرين ، وامتهانا لكرامة المجتمع وحقوقه .

ويخطىء العامة في تفهم معنى الحرية ، فيظن الكثيرون منهم انهـا حق كل فرد في ان يعمل ما يريد ، وان يمنع الغير من عمل ما يريدون ، وهذا افتراء صارخ على الحريـة ، ويعتبر تصرفهم هـذا اباحية وديكتاتورية ، لان الحرية لا تعيش ولا تنمو الا في جـو من النظـام والفضيلة ، فالحرية لا تقوم باطلاق العنان للشهوات او الميول الفاسدة، ليعمل المرء ما يريد ويهوى ، بل هي القدرة على عمل مـا هو واجب ومفيد للمجتمع ، وكم هو تعيس البلد الذي يطلق فيه الغوغاء والرعاع العنان باسم الحرية . قال روسو الفيلسوف الفرنسي في هذا المعنى : « من الد أعداء الحرية الفوضى لان فوضوي اليوم هو ديكتاتور الغد». وناجى اللورد بيرون (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤) وهو مـن اشهر الشعـراء الانكليز ، الحرية بقوله « ايتها الحرية ، أنت الروح السرمدية للعقل الخالي من القيود والنفس الخالية من الشهوات » .

كيف تحقق الحريـة ؟

وكما ان الحرية لا تعيش في جو الرذيلة والفوضى ، فانهـا كذلـك لا تنمو في تربة يغذيها الجهل وتعشعش فيها البدائية ، وكلما تعلـم الفرد وتثقف وعاش في اوساط راقية مصقولة، كلما اقترب الى الحرية، ومتى وجدنا انسانا يميل الى الخير وينفر من الشر ، ثم ينعطف الـى الحق والمحبة ، حكمنا انه قد حقق في نفسه الحرية ، لذلك قيـل ان الرجل الفاضل كلما اطلق له عنان الحرية ، كلما طلب منها المزيـد ،

مرفأ الماضي

عـد للـوراء
واكتب بمــاء
كـل الخطابات التي كتبت اناملها اليك
وأعـد قراءتهـا عليـك
مـا كـان كـان
وبقيت وحدك في مــدار الصمت مهجور المكـان
لا لست انت ، وليس قلبك مصدر الحب المـدان
فاليـــوم أمس ميت بغـــد يسمـــره الزمـان
مـا بعـده قـــدر سينعب في دروب الاقحـوان
وعلـى طريـق ربيعك القانـــي تثلجت الحروف
ما كان كان، ولست وحدك في الطريق مع الحتوف
فاليأس موكبـه طويـل الدرب صخاب الدفوف
فاذا تركت علـى الرصيف بمرفـا الماضي تطوف
فغـدا طريق الرفض تسلكه‌المئات .. بل الالوف
مـا كان كان . وليس في هــذا الزمان
شيء لمثلي او لمثلـك
لا مكـــان

بغداد — صفاء الحيدري

بينما اذا راينا انسانا يؤثر النفاق والظلم والرياء ، حكمنا انه قــد ابتعد عن الحرية بل اضحى مناوئا له ، فالقابلية لاختيار الشر بنـاء على هذه القاعدة السليمة ليست من الحرية في شيء ، بل مــن دلائل ضعفها وانحطاطها بل من آفاتها ومعايبها . ان صانع الشر من تلقــاء نفسه وتعمد منه ، ينقص حريته بدلا من ان يزيدها ، وكلمــا تمادى المرء في ارتكاب المساوىء وامعن في اقتراف الرذائل ، قعدت به حريتـه عن اظهار شخصيته على حقيقتها ، فيصبح في مظهره وتصرفاته كالذليل المستعبد ، وهذا ما يفسر قول الوحي : « من ارتكب الخطيئة فقــد صار عبدا لها » .

الحرية في المسيحية والاسلام

دعت المسيحية الى تحرير العبيد والماسورين ، وعــدم التفريق بين المسيحيين وغيرهم ، وبين الخطاة والابرار ، ودعت ايضا الـى المساواة بين الغني والفقير ، ومصداقا لهذا القول أعلن بطرس الرسول : « ان الله لا يحابي الوجوه وفي كل أمة من اتقاه وعمل البر فانه يكون مقبولا عنده » ـ اعمال الرسول ١٠ ، ٣٤ و٣٥ ، ومن يقــرأ رسائل بولس الرسول ير انعدام التفريق بين الناس والاجناس وان الحرية يجب ان تعطى لكل فرد من افراد البشر .

اما الدين الاسلامي فقد اقر حرية الضمير والعبادة ، وكفلها لاتباع كل دين يحيا في ظل الاسلام ، ومنع الاكراه على اعتناقه ، قال القرآن الكريم : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ـ سورة البقرة عدد ٢٥٥ ، وقال في نفس السورة : « وقاتلوا في سبيل اللــه الذيـن يقاتلونكم ولا تعتدوا وان الله لا يحب المعتدين » ، وقال القرآن الكريم ايضا : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومـن شاء فليكفر » سورة آل عمران العدد : ٢٨

أنــواع الحريــة

وهناك انواع كثيرة من الحرية منها : الحرية الدينيـــة والفكريـــة ، والحرية الاجتماعية والسياسية ، وحرية النقد ، وحريـــة النشر ، وحرية البحث والمناقشة ، وحرية تبادل الابحاث العلمية والنتائج التي تسفر عنها مع جماعة العلماء في كل مكان ، كل ذلك انما هو من صور النشاط الفكري الادبي والروحي الذي لا بد منه للانسان الذي يحمل في نفسه مبدأ النمو والتطور والسمو بالنوع ، كما برهن لنا على ذلـك التطور . وعلى اساس هذا المبدأ أنشئت نظريات التربية الحديثة ، ومن اغراضها الاساسية نمو الفرد وتطوره .

سيطرة الانسان على طبيعته البشرية

كان ارسطو يعتقد ان معظم الشرور والكوارث أساسها الطبيعة البشرية وان الانسان اقرب الى الوحش منه الى الانسان . وقال ثورنديك وهو من اكبر علماء التربية الامريكيين في القرن العشرين ما يقرب مــن نفس المعنى : « وثب العقل الشري وثبات واسعة ، وخطا في سبيل التقــدم خطوات كبيرة ، ولكن عاطفته وميوله ونزعاته وشهواته لا تــزال خشنة جامحة منحطة بهيمية وحشية متاخرة كانها لم تتقدم ابـــدا » . وفي يقيني ان المجتمع لن يحظى بقسط كاف مـــن حرياته المختلفة والا اذا سيطر افراده على طبيعتهم البشرية الفاسدة اي اذا تغلبوا على ميولهم ونزعاتهم المنحرفة ، وصرعوا شهواتهم البهيمية ، وتحرروا من الاغراض والاهـواء .

وقديما قال سنكا الفيلسوف الروماني في هذا المعنى قولا اصاب به كبد الحقيقة : « ما أضل الذين يهوون توسيع نطاق سلطتهم علــى البحار ، ويخالون ان السعــادة باستيلائهم علــى امصار جديـــدة ، ويجهلون ان اعظم ولاية هي ولاية الانسان على نفسه » .

وقال هذا الفيلسوف ايضا عن نفسه في هذا الصدد : « انني خلقت لغاية عظمى لا لاكون اسيرا لشهواتي » . والغريب ان العلم لـم يستطع حتى الآن تغيير رغبات الانسان وضبط شهواتـــه واخضاعها ، واعتقد ان العلاج لذلك هو تثقيف العقل علميا وروحيا وصقله ومنحه المزيد من الحرية لان العقل انما خلــق ليكون قائـــدا للطبع مقيـدا للشهوات .

منافع الحرية العظيمة للانسانية والحضارة

لقد تمتعت البشرية ولا سيما خلال الحقبة الاخيرة من هذا القرن بفوائد عظيمة لا تحصى وذلك بفضل الحرية ، فلولا الحرية ما ظفرنا بشكسبير وغوته وباستور ولستر واديسون وغيرهم ، لولا الحرية مــا استطاعت جماهير الناس ان تنعم بالبيوت الصحية واجهزة الراديو والتلفزيـون ووسائل الوقاية من الامراض المختلفة ، وما اصبحت العلوم والفنون في متناول الجميع ، لولا الحرية ما وجدت الآلة التي خففت عن كاهــل العمال عبء الاعمال الشاقة ، واحالت العالم اليوم الى مسرح رائع لكل انتاج عجيب وابتكار مذهل وخلق بديع ، لولا الحرية لكنا نعيش الآن اذلاء مستعبدين كما كان يعيش اسلافنا في ظل الاستبداد والظلم .

واخيرا لولا الحرية لما تسنى لي الاجتماع بكم والتحدث اليكـم والاستئناس بوجودكم ، فشكرا للحرية وشكرا لكم .

قسطنطين تيودوري

التقنية المسرحية عند عدنان مردم بك

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

قد جرت العادة ان يكون النسق الذي يستوعب التأليف المسرحي ويصرف الحوار فيه هو نسق الفصول التي تقسم الى مشاهد، بمعنى ان البناء المسرحي يصير الى نسق فصول متسلسلة تتوزع العمل المسرحي والحركة فيه كافة، على نحو ما نجد ذلك في « مصرع كليوباترة » لاحمد شوقي و « الناصر » لعزيز اباظة و « العباسة » لعدنان مردم بك، وغيرها، وهذه المسرحيات الشعرية العربية كلها من اربعة فصول، كل فصل منها يحوي على عدة مشاهد، تقل او تكثر حسب الحركة المسرحية نفسها (١) ..

ولكنا نجد في بعض مسرحيات شعرية لهؤلاء الرواد العرب، الذين امتازوا بأدب مسرحي اصولي، سلفي في بنائه، وديباجته، ان الفصل الواحد يقسم احيانا الى مناظر او اقسام، يحوي القسم الواحد منها او المنظر على عدة مشاهد (٢)، كما هي الحال في مسرحية « عنترة » لاحمد شوقي، او « شهريار » لعزيز اباظة، او « الملكة زنوبيا » و « الحلاج » لعدنان مردم بك ..

ان البناء المسرحي في « عنترة » لاحمد شوقي يتميز بأنه قسم الى فصول ومناظر ومشاهد، كما نجد ذلك في الفصل الثاني والفصل الثالث فيها، واللذين يحوي كل منهما على منظرين، المنظر الاول في الفصل الثاني يضم مشهدين، ويضم المنظر الثاني اربعة عشرة مشهدا، في حين العكس نجده في الفصل الثالث، بينما الفصل الاول يحوي على اثنين وعشرين مشهدا، والفصل الرابع يحوي على اربعة عشر (٣) ..

هذا النسق في التأليف المسرحي في « عنترة » يبرره ان المسرحية تضم مشاهد اجتماعية وشعبية وقصصية مختلفة، مثل الغزو والغارة والمبارزة والتآمر والخدعة استوجبها العمل المسرحي، وبعض هذه المشاهد لا يزيد على بيت من الشعر او بيتين، او احيانا عدة مقاطع ..

كذلك الحال في مسرحية « شهريار » لعزيز اباظة التي يصير النسق فيها الى تقسيم الفصل الى اقسام كل قسم بمشاهد، حيث نلاحظ على الخصوص ان الباعث على مثل هذا التقسيم ليس رصف المشاهد الاجتماعية والشعبية والقصصية، وانما هو بالاحرى الاخذ بتقنية اللامعقول، وخاصة في الفصل الرابع والاخير (٤)، اذ يصير العمل المسرحي الى تحليل نفساني وذهني، هو في حقيقته رمزي مبسط، يصور طوية شهريار، وسريرته، وايضا صراعه الروحي وايمانه، اذ يتبدل منظر القصر الى كهف موحش مخيف، فيه صخور ومسارب، يحاور شهريار نفسه ولا يجيب عليه الا صوت شهرزاد حتى تظهر امامه عيانا الشخصيات التي كان له معها علاقات ظلم في السابق ...

واذا تأملنا مسرحيات عدنان مردم بك من حيث بناؤها وموضوعاتها وجدناها تلتزم قدر المستطاع نسق الفصول والمشاهد، والتي تتسلسل فيها الحركة المسرحية، كما هي الحال في « غادة افاميا » او « العباسة »، وكلتاهما من اربعة فصول، قسم كل فصل منها الى عدة مشاهد، تقل وتكثر حسب العمل المسرحي فيها وحركته ..

في حين هناك مسرحيات له اضطره العمل المسرحي فيها الى تقسيم الفصل الواحد فيها الى قسمين ثم مشاهد في كل قسم، كما هي الحال في : « الحلاج » والتي يضم كل فصل من الفصول ٢ و٣ و٤ فيها، قسمين، يحوي كل قسم منها على عدة مشاهد، متنوعة في الطول والقصر ..

والشاعر الكبير عدنان مردم بك يتفرد في مسرحه الشعري الاصولي السلفي في بناته وديباجته بتقنية العمل المسرحي الواحد، الذي يقيمه عادة على صراع واقعي نفسي فردي او اجتماعي عام ..

ان الموضوعات المسرحية الشعرية عند عدنان مردم بك الى الآن موضوعات تاريخية، هي احداث او لنقل وقائع كبرى، مثل نكبة البرامكة في « العباسة »، او استرقاق زنوبيا في « الملكة زنوبيا »، او هي صراعات اجتماعية وذهنية نفسية مثل صراع الحب والواجب في « غادة افاميا » او الصراع السياسي والاجتماعي في « الحلاج » .

ولكن الذي يدهش في مسرح عدنان مردم بك هو هذه التقنية المسرحية الاصيلة، التي للعمل المسرحي الواحد (٥)، بحيث ان الموضوع عنده، أيا كانت سعته، وأيا كانت مضامينه من الافكار والتجارب يصير الى قصة واحدة، لنقل ايضا عقدة واحدة، لها بداية ثم تأزم ثم نهاية .. وانك لتقرأ الفصول المطولة في مسرح عدنان مردم بك، فتجدها باقسامها ومشاهدها انتظمت في خط واحد، يستقطب العمل المسرحي بحركته العامة وتحليلاته كافة، وتعبر عن وجهة نظر المؤلف في الموضوع ..

فمثلا، في « العباسة » العمل المسرحي منذ اول صفحة فيها الى آخر صفحة هو صراع سياسي تندمج فيه الارادات كل في اتجاهها، ليصير الى الخاتمة وهي النكبة، وفي « الحلاج » هو الحذر السياسي الذي يلجأ

الى تحريض المأجورين ، ويصير الـى خاتمته وهـي الشهادة ، وفي غادة « أفاميا » هـو الصراع بين الحب والواجب ، والذي يصير الـى انتصار الحب ، وفرار الضحية غادة ، وفي « الملكة زنوبيا » هـو الهم السياسي والذي يصير الى الفداء ..

العمل المسرحي بذلك كله واحد ، يستقطب كـل حركة ، وكل تحليل في المسرحية كافة ، بحيث تجد البناء فيها متكاملا ، رص بعضه الى بعض رصا محكما ، لا نتوء فيه ولا سفسفة ، ويتحاشى الحشـو كمـا يتحاشى الاوصاف الجانبية ..

وفي هذا الخصوص لنذكـر ان عندنا امثلة مـن مسرحيات شعرية سلفية تقوم علـى تكامل بين الموضوع الرئيسي والاوصاف الجانبية كما في « عنترة » لاحمـد شوقي ، على نحو ما مـر ذكره ، او في « العباسة اخت الرشيد » لعزيز اباظة والتي تعتمد على مسرحة اخبـار الثورات ، او مظاهر الحضارة ومجالس الطرب ..

في حين هنـاك مسرحيات تعتمد علـى تساوق موضوعين ، او لنقل عقدتين اساسيتين احداهما رئيسية والاخرى ثانوية ، كما في « علي بك الكبير » لاحمد شوقي، حيث نجد قصة الانقلاب الذي نفذه محمد ابـو الذهب بشيخ البلد علي بك الكبير حين حاول الاستقلال بمصر ، عام ١٨٦٩ ففشل ، ثم حب مـراد لآمال ، وهي أخته وتصبح زوجة لعلي بـك .. او في مسرحية « الناصر » لعزيز اباظة ، حيث نجـد قصة الانقلاب الفاشل علـى الناصر ، ثم قصة تجسس شفق وموتها ..

ولكن عند عدنان مردم بك نحن نفتقد هذين النوعين من التقنية المسرحية (٦) ، اي اللذين للموضوع المزدوج او الموضوع الذي تسانده الاوصاف الجانبيـة ، وانمـا العمل المسرحي الواحد هو محور الحركة المسرحية كافـة عنده .. ومن هنا حرصه علـى انتقاء احداث العمـل المسرحي ، وهي على العموم تمثل وجهة نظره ..

يقول عدنان مردم بك في مقدمة « العباسة » بعد ان يعرض مرويات التاريخ ويفندها « ... الصراع كما نرى صراع على الملك كما ذهب اليه ابن خلدون ، واني اخذت بهذه النظرية التاريخية السليمة ، وحاولت ان انصف كلا الطرفين في تصوير ما لهما وما عليهما (٧) .. » كما يقول في مقدمة « الحلاج » « حاولت في مسرحيتي هـذه ان انصف الحلاج فيما له وما عليه دون تحيز ، وبينت بهـا ان سبب قتل الحلاج يرجع الـى اسبـاب سياسية بحتة (٨) .. » .. ومثل هذا التحديد للعمل المسرحي ، والذي هو ابداء وجهة نظر للمؤلف تحديـد مشروع ، خاصة انه ذو غاية جمالية فنية ، اذ هـو يوفر المتعـة المسرحية في تصوير الصراعات وتسلسل الاحداث ، كمـا انه يسمح بالمناقشة على النطاق الواقعي نفسه ، ابتـداء من الوقائع التي تستخدم لهذا الغرض ..

واني في الحقيقة اوافق الشاعر الكبير عدنان مردم بك على هذه التقنية المسرحية ، التـي للعمل المسرحي الواحد ، رغم كل المحاذير التي يمكن ان تتعرض لها (٩).

ذلك ان المسرح لـه فنيته ، وبالتالي لـه معاييره الادبية ، والتي لا بد مـن مراعاتها في التأليف المسرحي ، لان الادب المسرحي هو ادب هـذا الحوار الذي يؤديـه الممثلون على خشبة المسرح ، وبالتالـي الادب المسرحي ليس الادب الملحمي ، ولا الادب الغنائي ، حتى يسترسل المؤلف فيه في استطرادات ، او اوصاف جانبية ..

ومن هنا كان العمل المسرحي الواحد ادعى الـى توفير المتعة المسرحية ، لانه اوعى لمقوماتها ، بحيث هـو الناظم للسيرة في تأزمهـا ، او خاتمتهـا او الصراع في اندلاعه او منتهاه .. ان ذلك سيمكن المؤلف المسرحي من ان يحمل الى القارىء او السامع مـع المتفرج مضامين فكرته ، ومبتغاه مـن الحوار التمثيلي .. ان العمـل المسرحي الواحد باستقطابه كـل الحركات على خشبة المسرح ، وكل التحليلات النفسية والانسانية التي يعبـر عنها الممثلون هو الذي يحقق هذه الغاية الفنية الادبية..

فاذا كانت المسرحية مستوفاة لعناصرها المسرحيـة من عقدة ظاهرة التأزم والحل ، او صراع واضح الاتجـاه والخاتمة ، ثم ساندتها ديباجة شعرية قوية متينة سليمة التراكيب صحيحة العبارة ، فذلك هـو الكمال المرجو المنشود .. وعدنان مردم بك بالفعل من الشعراء المطبوعين

---

١ ـ راجع (في الشعر المسرحـي) لعدنان بن ذريـل ، دمشق ١٩٧٠ ، دراسات مفصلة عن هـذه المسرحيات الشعرية وغيرهـا ، ص ٢٠ ـ ٣٤ ، وص ٧٧ ـ ٨٤ ، وص ١١١ ـ ١٢٢ .

٢ ـ راجع (فن المسرحية مـع تلخيص حديث لكتاب الشعـر لارسطاليس) لعدنان بن ذريـل ، دمشق ١٩٦٣ ، الفصل الخامس ، الباب الثاني ، حيث نجد أيضا اصطناع المؤلفين المسرحيين العـرب للمقدمات ، والخاتمات المسرحية في تآليفهم او ترجماتهم ..

٣ و٤ ـ راجع (في الشعـر المسرحي) السابق الذكـر ، ص ٤٣ ـ ٥٥ ، وص ٨٤ ـ ١٠٠ .

٥ ـ بخصوص مسرحيات عدنان مردم بك راجع المصدر السابـق الذكـر ..

٦ ـ حتى مسرحية الملكة زنوبيا فهي موحدة العمل ، في خط واحد يتصاعد فيه العمل المسرحي الذي يحتم الخاتمة ، وهي الفداء .

٧ ـ صدرت عن دار عويدات ، بيروت عام ١٩٦٨ .

٨ ـ صدرت عن الدار نفسها ، بيروت عام ١٩٧١ .

٩ ـ وكما ان استيفاء العمل المسرحي طاقته التلبيرية هو الغايـة المرجوة ، فان أهم هذه المحاذير هو الغفلة عن اشباع القول فيه ، او التغاضي عن الاهم والهام للثانوي الرديف ..

١٠ ـ راجع فن المسرحية السابق الذكر ، وفي الشعـر المسرحي ايضا صفحات متفرقة ..

١١ ـ كنا نشرنا في مجلة (الاديب) الغراء العديد من الدراسات عن هذه الطريقة الشعرية المحدثـة ، راجـع (الاعـداد) يونيـو ، وسبتمبر ، ونوفمبر ١٩٦٨ ، وفبرايـر ، وابريـل ، ويونيو ١٩٦٩ وغيرها ..

في الفريكـــة

رنحتني في ذراهـــا الذكـر   يوم عودي (١) في لقاها اخضر
يوم جئنا (٢) والدجى يغمرها   وهو ليـل مـن سناها مقمر
وأمـين تحتفـي آثـاره   بالمحبين فتطفى العبر
فهو لـو عاد لمـا زاد على   نعمـة ينعم فيهـا النظـر

ايه يـا قبلة (٣) قلب والـه   هـاك منـي قبلـة تستعـر
لـو قضى البين ببعـد دائم   لانطوى الانس وولـى العمـر
أي حسـن في الروابـي باسم   ورواء كالسنـــا ينهمـــر
فهـو في الزهر نشيد عابـق   وهو في المـاء خرير مسكر
وهـو في الاشجار همس منعش   وهو في الصخر جـلال أسمر
كائنـات حـرس الحسن بها   وتبنـاه سكـون يـزأر
ههنـــا الصمت يغني ولـه   في الصخور الصم فيها مزهر
ههنـــا المسك تبارى عابقـا   فتحـداه وفـــاز العنبـر
ضيعة ما ضاع فيهـا طـرب   يرقص الروح ، وضاع الكدر
لـم أجد قبل سجايا أهلها   طيبـة تشبـه طيبـا ينشر
أيـن ، أيـن الشر في أرجائها   كيف لا يلمـح منـه أثـر

قـد رعاني في حماها صاحب   بـل أخ في لطفـه يبتكـر
فهو لـو أعطاك روحا ودمـا   صار عـن تقصيره يعتـــذر
أريحـي النفس مـن نكتتـه   يقطر الشهد ، ويهمي السكر
وهــو ان حدث يهدي حكمة   في جـلال القصد دوما تأسر
فليدم للروح روحـا ولتـدم   ضيعـة يهفـو اليهـا العمر

(١) دعاني الاخ الاستاذ البرت الريحاني لقضاء يومي ١٧ و١٨ آب ١٩٧١ في منزلـه ومنزل شقيقـه فيلسوف الفريكة المرحوم امين الريحاني في الفريكة فاستوحيت من هذه الزيارة هذه القصيدة .

(٢) كانت زيارتي الاولى لها ليلا مع سامي الكيالي وجورج ليان ورفائيل بطي رحمه الله الذين كانوا رفاقي في مؤتمر الادباء العرب الاول في بيت مري سنة ١٩٥٤ . (٣) الفريكة (٤) البرت الريحاني .

بغـداد   حارث طه الراوي

المحافظين ، حتى في شعرهم العادي ، على سلفية الشعر العمودي ، وديباجته الشعرية العاديـة او المسرحيـة ديباجة شفافة فيها متانة وجزالة وبداعة ..

ومن هنا تجد المسرحية عند عدنان مردم بك بنـاء متكاملا ونضيدا مـــن الاداء المدروس واللفظ الصقيـل والمعاني الدقيقة ، تروي قصة واحدة ، ولنقل ايضا تفند فكرة واحدة .. واظن ان هذه الخصيصة التي يتفرد بها عدنان مردم بك وهي تقنية العمل المسرحي الواحد هـي سر ابداعه وتفوقه ، وسر الجمال والقوة في ادبه المسرحي.

وحسبنا ان ننوه هنا اتماما لهذه الدراسة ، اننـا نفتقد في مسرح عدنان مردم بك الاغنية ، اي القصيـدة التي يمكن تلحينها وغناؤها والتـي كان يوفرها احمـد شوقي ، ثم عزيز اباظـــة ، في المسرحية الشعرية بفعل تأثرهما (١٠) بفن الاوبريت السورية والمصريـة العربية ، كما اننا اليوم نفتقد التضمين الشعري بكل انواعه ، اي تضمين الاقوال والاشعار في حـــواره التمثيلي ، وهـي طريقة (١١) شعرية محدثـــة ، شاعت وذاعت مؤخرا في الشعر الحديث الحر ، ولم يأخذ بها عدنان مردم بك .. وما ذلك الا ليظل للعمل المسرحي عنده وحدته ونقاوته ، ويظل للمسرحية طاقاتها الفنية الادبية الاصيلة ..

دمشق   عدنان بن ذريل

توفيق ابو الهدى - فيليب صائغ
عبد الهادي كامل - الحكم دروزة

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ توفيق أبـو الهدى

ينتمي المرحوم توفيق ابو الهدى الى عائلة الناجي الفاروقي المعروفة في رملة فلسطين ونواحيها ، ولكنه ولد في مدينة ((عكا)) عام ١٨٩٥ واكمل دراسته الابتدائيـة في مسقط رأسه ودراسته الثانويـة في سلطاني بيروت ، ثم قصد الاستانة والتحق بكلية الحقوق. ولانخراطه في الجندية عام ١٩١٥ ، كضابط احتياطي ، لم يكمل دراسة الحقوق ، وبعد فحصه طبيا احيل على الخدمة الخفيفة ودخل مدرسة اللوازم وتخرج منهـا برتبة وكيل ضابط وعين كاتبا في الشعبـة الخامسة التابعـة لوزارة الحربية في الاستانة .

وكان ((توفيق)) من الاعضاء البارزين في ((المنتدى الادبي)) الذي اسسه الشبان العرب المقيمون في الاستانة عام ١٩٠٩ ، وبعد ان القت السلطات التركية القبض على رئيسه المرحوم عبـد الكريم الخليـل اغلقت ابوابه ، وصادرت اوراقه ، واخذت في البحث عـن المراسلات التي دارت بين رئيسه واعضائه ، وقد سبق ان اودعها المرحوم الخليل النزل الذي يسكنه المرحوم ابو الهدى ، فاحتفظ بها في حقيبة متهرئة تركها في زاوية مهملة من النزل ، وعندما داهم رجال الامن النزل سالوا ابا الهدى على رجال الامن وبارحوا النزل كالقابض على الريح !

وبعد ان اطمان ابو الهدى الى ابتعاد الجند عن النزل الـذي يقطنه سلم الحقيبة الى جار ارمني له ، فهبط بها ، مع زوجته ، سلم الدار الى قبو في العمارة واضرما النار في الاوراق والمراسلات !

وفي لقاء تم بين ابي الهدى والمرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي ساله هذا عما فعل بالاوراق السرية فطمأنه خيرا وافـاد بانها كانت طعمة للنار ... فسارع الزهراوي الى تقبيله وقال له ((لقـد انقذت بحرقها عشرات الشبان من احرار العرب ... ولو لم تفعل هذا لكانوا طعمة لاعواد المشانق !)) .

وقبيل سقوط سورية في قبضة الجيش العربي نقل ((ابو الهدى)) الى كرمنشاه بايران مع الجيش العثماني ثم هرب الى حلب في طريقه الى الاستانة وخلال وجوده فيها سقطت سورية في يد الجيش العربي، وما لبث ((ابو الهدى)) ان غادر حلب الى لبنان واجتمع في صيـدا بزميله في الدراسة والسياسة المرحوم رياض الصلح وقد هيأ له عربة نقلته الى الحدود الفلسطينية واستقر في ((عكا)) .

وفي عام ١٩٢٠ جاء الى دمشق وعين كاتبا في مكتب عميد كليـة الحقوق ، وبعد فترة قصيرة عين مميزا للواردات في وزارة المالية بعهـد وزيرها المرحوم فارس الخوري ثم رقي مديرا لقسم الواردات فيها .

وفي ٢ - ٣ - ١٩٢١ وصل الامير عبد الله بن الحسين الى مدينة عمان واسس ((امارة شرقي الاردن)) فقصدها ابو الهدى بالقطار وعين رئيسا لقسم الواردات فرئيسا لقسم المحاسبة بوزارة المالية في عهـد وزيرها المرحوم احمد حلمي باشا عبد الباقي ، ثـم نقل مديرا عاما لدائرة تسجيل الاراضي فابدى كل كفاءة ونشاط في تصريف الامور .

وفي ١٧ - ١٠ - ١٩٢٩ الف المرحوم حسن خالد ابـو الهـدى الصيادي (من خان شيخون ، بمحافظة حلب) وزارته الثالثـة فدخلها المرحوم توفيق ابو الهدى سكرتيرا عاما ، وبعد ان عهـد للمرحـوم الشيخ عبد الله سراج بتاليف الوزارة دخلها ابو الهدى سكرتيرا عاما. وباقالة الشيخ سراج من رئاسة الوزراء عهد الى المرحوم ابراهيم هاشم بتشكيل حكومته الاولى في ١٨ - ١٠ - ١٩٣٢ وعـين المرحوم توفيـق ابو الهدى مديرا للمصرف الزراعي ، ولم يمض وقت طويل حتى اقيل ابو الهدى من خدمة الحكومة بحجة ((عدم اللياقة !)) فلزم ابو الهدى منزله ، على ان اعتكافه هذا لم يطل ... فقد عاد باصرار وعناد الـى مديرية المصرف الزراعي ... وفي ٢٨ - ٩ - ١٩٣٨ انعم عليه الامير عبد الله بلقب باشا وعهد اليه بتشكيل حكومته الاولى ، وقد حقق في عهدها ما يلي :

١ ـ مفاوضة الحكومة البريطانية لتعديل الاتفاقيـة الاردنية ـ البريطانية ، وفي اوائل شهر شباط من عام ١٩٣٩ مثل الاردن في مؤتمر فلسطين الذي عقد في قصر سان جيمس بلندن بالاشتراك مع الشيخ نجيب علم الدين كبير مفتشي وزارة المعارف الاردنيـة آنـذاك ، وهنـا انتهز ابو الهدى وجوده في لندن فشرع في مفاوضة الجانب البريطاني الى ان نجح في تعديل الاتفاقية الاردنية ـ البريطانية .

٢ ـ وبعد عودة ابي الهدى الى الاردن قرر المجلس التشريعـي الرابع تعديل القانون الاساسي في ٥ - ٨ - ١٩٣٩ وقـد نصت المادة العشرون منه على ان يؤلف مجلس الوزراء من رئيس للوزراء ومـن خمسة وزراء .

٣ ـ وتقرر كذلك استبـدال اسم ((المجلس التنفيذي)) باسم ((مجلس الوزراء)) وبعد ان تم التعديل السابق في القانون الاساسي قدم ابو الهدى استقالة حكومته الاولـى في ٦ - ٨ - ١٩٣٩ وشكـل حكومته الثانية ، وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والعدلية، وفي ٢٤ - ٩ - ١٩٤٠ قدم ابو الهدى استقالة حكومته الثانية وشكـل حكومته الثالثة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية .

وفي ٢٧ - ٧ - ١٩٤١ قدم استقالة حكومته الثالثة فعهد اليـه بتشكيل حكومته الرابعة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجيـة والدفاع .

وفي ١٨ - ٥ - ١٩٤٣ قدم ابو الهدى استقالة حكومته الرابعـة فشكل حكومته الخامسة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجيـة والدفاع ، وقد جاء في منهاج هذه الوزارة ((انها ستسعى في سبيـل الوحدة العربية وخصوصا تحقيق الوحدة السورية)) .

ونتيجة لاستقالة ابي الهدى من رئاسة الحكـم في ١٤ - ١٠ - ١٩٤٤ عهد للمرحوم سمير الرفاعي بتشكيل الحكومـة وفي ١٨ - ٥ - ١٩٤٥ قدم استقالته وعهد للمرحوم ابراهيـم هاشم بتاليف الوزارة فدخلها المرحوم ابو الهدى وزيـرا للخارجية . وفي ٢٧ - ٨ - ١٩٤٥ قدم استقالته وعين مديرا للمشروع الانشائي العربي في القدس .

وبعد ان استبدل اسم ((امارة شرقي الاردن)) باسم ((المملكـة الاردنية الهاشمية)) اعترفت بريطانيا باستقلال الاردن وابرمت معاهدة التحالف بين البلدين ، وفي ١ - ٢ - ١٩٤٧ نشر الدستور الاردنـي الجديد فقدم المرحوم ابراهيم هاشم استقالة حكومته ، مفسحا المجال امام حكومة جديدة تشرف على انتخابات مجلس النواب وتتسلم زمـام السلطة في العهد الجديد فشكـل المرحـوم سمير الرفاعي حكومته في ٤ - ٢ - ١٩٤٧ .

وفي ٢٧ - ١٢ - ١٩٤٧ قدم المرحوم الرفاعي استقالـة حكومته فشكل المرحوم توفيق ابو الهدى حكومته السادسة وكان فيهـا رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع .

وفي ١٧ ـ ١ ـ ١٩٤٨ تخلى ابو الهدى عن وزارة الخارجية وعين المرحوم فوزي الملقي وزيرا لها بالاضافة الى وزارة المواصلات . وفي ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٤٨ تخلى ابو الهدى عن وزارة الدفاع وتولى وزارة الخارجية ومن ابرز منجزات حكومته السادسة :

١ ـ تعديل الاتفاقية الاردنية ـ البريطانية لمصلحة الاردن في ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٨ في لندن .

٢ ـ الاشتراك في معركة فلسطين الى جانب الدول العربية والعمل على انقاذها من براثن الصهيونية والاستعمار .

وفي اول وزارة اردنية شارك فيها الفلسطينيون قررت هذه الوزارة منح جميع الفلسطينيين الجنسية الاردنية « بشكل اجماعي » تمكينا لهم من الاشتراك في الانتخابات النيابية ، وقرر اول مجلس نيابي مشترك توحيد ضفتي الاردن تحت التاج الهاشمي .

وبعد اعلان الوحدة بين الضفتين قدم المرحوم ابو الهدى استقالة حكومته السادسة ، مفسحا المجال امام حكومة جديدة تدخلها عناصر فلسطينية فشكل حكومته السابعة في ٧ ـ ٥ ـ ١٩٤٩ وكان فيها رئيسا للوزراء .

وبعد استشهاد الملك عبد الله بن الحسين في المسجد الاقصى بتاريخ ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٥١ قدم المرحوم سمير الرفاعي استقالة حكومته فشكل المرحوم ابو الهدى حكومته الثامنة وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية .

وفي ٢٧ ـ ٩ ـ ١٩٥٢ قدم ابو الهدى استقالة حكومته التاسعة والف وزارته العاشرة وكان فيها رئيسا للوزاء ووزيرا للخارجية ووزيرا للدفاع بالوكالة .

وفي ٢ ـ ٥ ـ ١٩٥٣ تسلم الملك حسين بن طلال سلطاته الدستورية فقدم ابو الهدى استقالة حكومته العاشرة وعهد للمرحوم فوزي الملقي بتاليف الحكومة . وفي ٢ ـ ٥ ـ ١٩٥٤ قدم المرحوم الملقي استقالة حكومته وكلف المرحوم ابو الهدى بتاليف حكومته الحادية عشرة فكان فيها رئيسا للوزراء . وفي ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٥٤ قدم استقالة حكومته هذه والف حكومته الثانية عشرة وكان فيها رئيسا للوزراء .

يشهد الذين زاملوا توفيق ابا الهدى او عملوا معه ، بكفاءاته وحرصه على تادية عمله على احسن وجه ، في المراكز الحساسة التي شغلها وبتصريف الاعمال التي تولى دفتها وحفاظه على هيبة الحكم وشرف الدولة وانجازه كل وعد قطعه ، ووزنه كل كلمة قبل ان يلفظها . للحقيقة والتاريخ يجمع الذين زاملوا هذا الدبلوماسي القدير على انه « رجل دولة » !

وفي مذكرات الملك عبد الله بن الحسين يقول في الصفحة ١٧٨ بالحرف الواحد :

« وقد عهدنا الى توفيق باشا ابو الهدى بتاليف الوزارة عدة مرات ، فظل رئيسا للوزراء طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفي اخطر ادوارها ، وكان موضع الرضا التام عندي لحرصه الشديد على ضمان الاستقرار السعيد لهذه البلاد في تلك الايام المدلهمة الآفاق ! ».

ومن الجدير بالذكر اشتراك المرحوم توفيق ابو الهدى في جميع مشاورات الجامعة العربية الى ان انتهى بروتوكول الاسكندرية ووضع الميثاق القومي الذي على اثره استقال كافة رؤساء الوزارات في الدول العربية الذين اشتركوا فيه .

ومما يؤثر عنه تفاؤله بيوم (الثلاثاء) فكان يقول لاخصائه :

« ولدت يوم الثلاثاء ودخلت المدرسة يوم الثلاثاء واحرزت الشهادة يوم الثلاثاء وشغلت اول وظيفة يوم الثلاثاء وتزوجت يوم الثلاثاء ورزقت وحيدتي « سعاد » يوم الثلاثاء والفت اول حكومة يوم الثلاثاء ! » .

وكان يتماهل في تشكيل الوزارات الى ان يطل يوم (الثلاثاء) .

وفي ٢ تموز ١٩٥٦ انهى المرحوم توفيق ابو الهدى حياته بنفسه في بيته بعمان ، ودفن في مقبرة عمان الواقعة في اول المصدار ، وقد خسر فيه الاردن والعالم العربي دبلوماسيا الميا له وزنه وثقله في دنيا السياسة !

٢ ـ فيليب حنا صائغ

ولد « فيليب » في مدينة « يافا » بفلسطين عام ١٩٢١ من اسرة اشتهرت بابنائها الذين عرفوا بالعقول النيرة ، والوطنية الصادقة ، والعروبة الصحيحة ، وتعلم « فيليب » في مدرسة الفرندز الشهيرة برام الله ـ المصيف الفلسطيني الجميل ـ وظل يدرس فيها حتى عام ١٩٣٦ وفي هذا العام الذي سجل فيه عرب فلسطين اطول اضراب وطني شامل عرفه تاريخ العالم واستغرق ١٨٠ يوما ، قصد الجامعة الاميركية ببيروت ودرس فيها الادب الانكليزي وكان من المجلين فيه ، وفاز بدرجة بكالوريوس آداب عام ١٩٤١ وعمره عشرون عاما ، ودعي لتدريس اللغة الانكليزية في معهد الفرير بيافا من عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ ، وعرف بولوعه بالرياضة البدنية ، لا سيما كرة القدم التي برع فيها براعة اهلته لان يصبح احد افراد منتخب فلسطين عام ١٩٤٣ .

اما ولوعه بالسباحة فهو امر عجيب ، اذ لا يزال يسبح صباح كل يوم ، صيفا وشتاء ، مسافة كيلو متر في بحر بيروت ، ويمشي على اليابسة بعد ذلك مسافة ٤ كيلو مترات ، وهذا الجسم الرياضي اوجد فيه روحا رياضية تبدو جلية في خلقه الرضي وتسامحه مع الناس وتبريره الاعذار المقبولة لما يجترحونه من اخطاء .

وفي اهابه جمع النقيضين : الرياضة البدنية والانكباب على المطالعة الادبية والعلمية بنهم عجيب ، يجعلك تشعر ، وانت تتحدث اليه ، كانك تتحدث الى دائرة معارف ناطقة باللغات العربية والانكليزية والفرنسية التي يجيدها اجادة تامة وقد تعلمها في صباه على نفسه ، وهذا يجعل حديثه ماتعا مستطابا !

اما اذا كان الحديث عن فلسطين وعن تعلقه بالوطن المغصوب وعن حق العرب التاريخي والسياسي والمنطقي فيها فانك ترى فيه شعاعا من الشوق قد انبعث من عينيه ، وحرارة جديدة قد انسابت في عباراته حتى لترى كلماتها وكانها قد اصبحت تتحرك هنا وهناك بنشاط عجيب وحيوية غريبة !

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين عام ١٩٤٨ وشردتهم ايدي سبا عين « فيليب » استاذا للغة الانكليزية في كلية المقاصد الخيرية بصيدا ثم اشرف على تدريسها في معاهد الفرير المارست بصيدا وجونية وجبيل بلبنان من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٤ ، وفي هذا العام استقر في بيروت واصبح مديرا لمركز لونغمان للعالم العربي ولا يزال فيه .

من آثاره القلمية : عالج « فيليب » القصة القصيرة باسلوب سهل ممتنع ، وصنف سلسلة من الكتب المدرسية وقد عرفنا منها مطبوعا :

١ ـ قاتل امه (قصة) طبع عام ١٩٤٦
٢ ـ الدروس الجديدة باللغة الانكليزية للطلاب العرب ـ طبع عام ١٩٤٩
٣ ـ تصريف الافعال الانكليزية ـ طبع عام ١٩٥٠
٤ ـ كتابي في المحادثة ـ طبع عام ١٩٥٢
٥ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الاول) طبع عام ١٩٥٤
٦ ـ الدروس الجديدة في الترجمة ـ طبع عام ١٩٥٥
٧ ـ دروس في الترجمة الجديدة (ثلاثة اجزاء) طبع عام ١٩٥٦
٨ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الثاني) طبع عام ١٩٦١
٩ ـ كتابي (أ. ب. ت) (الجزء الثالث) طبع عام ١٩٦٣
١٠ ـ دروس في الترجمة لطلاب البكالوريا ـ طبع عام ١٩٦٨

نموذج من نثره : « لما اتحدت كلمة الامة العربية يوما الا كان النصر لها على اعدائها ، مهما كان عددهم كبيرا ، وجيوشهم جرارة ، وبطولتهم فائقة . ولم تتفرق كلمة امتنا يوما الا كان النصر لاعدائها عليها . ولا ادري لماذا لا تتحد الحكومات العربية الآن كما اتحدت قلوب شعوبها ؟ وتصب دخل بترولها العظيم في صندوق واحد ، ينفق منه

على جحفل عربي لهام واحد ، ليعيد فلسطين بزند واحـد وعزيمـة واحدة ! »

« اللغة مستمدة من البيئة ، لــذا تعددت اللفات وتفاوتت في درجات التطور بتعدد البيئات والمجتمعات ، وحتـى اللهجات في اللغـة الواحدة تتباين بين قطر وآخر . ونظرا لاختلاف البيئة والمجتمع ، كان ما يصح التعبير عنه بالاسلوب المجازي في لغة واحدة لا يصح في لغـة ثانية . ففي البلاد الحارة ـ الجزيرة العربية مثلا ـ تهفو قلوب سكانها الى البرد ، لذلك كنت العرب عن السرور بالبرد ، فقالت : أقر اللـه عينه (جعلها تبرد) ، أي امتعه بالسرور ، ولو ترجم هذا القول حرفيا لسكان البلاد الباردة ، لفهموا منه انه مات ، لان البرد يصيب جسد الانسان عندما تفارقه الروح » .

نموذج من شعره : ان فيليب صائغ شاعر في حركاته وسكناتـه وانفعالاته ورهافة حسه ، وهو من شعرائنا المقلين ، ولو انصرف الـى نظم الشعر لكان له فيه شأن . قال في صدر شبابه متغزلا :

رشق الفـؤاد بنظـرة فتانـه   رشأ يفـازل صدره رمانـه
فهويت بعد تجلدي ، وصرخت من   عجب أمجـد خالقـي سبحانه
أيصيدني ريـم ، نحيـل خصـره   ويقودني للحتف غصن البانـه

ثم قال بعد نكبة فلسطين الاولى وهجرته الى لبنان ، وقلبـه يتنازعه حبه العذري لفتاة احلامه ، وحبه الجامح لمحبوبته الخالـدة فلسطين :

لا تبوحي يومـا بمقدار حبـي   جل وجدي عن القياس ، وربـي
فهو اسمى مـن الوجود جميعـا   وهو اقوى مـن وجد كـل محب
كلما جئت ، قـال فـد ضلوعي   لك : هاتي خمر الهيام وصبـي
جنة الوصل تنتشي الروح فيهـا   وجحيم الصـدود قبـر لقلبـي
فتعالـي نشرب رحيق هوانـا   ونسر فـوق دربنـا المستحب
ثـم نعلو متـن السماء بروحينا   ونسمو هـوى علـى كـل صب
نحن كالشمس لا تبالـي أراحت   فوق شرق تميس أم فوق غـرب
نحن في هـذه الحيـاة ملاكـا   صبـوة عبـدا اهـا كـل درب
ثـم طـارا مـع الريـاح وحامـا   حول « يافـا » بخافق وبلـب
وأريج الازهـار طـاف علينـا   بكؤوس فيها عبير (١) ابـن جنبي

٣ ـ عبد الهادي كامـل

ولد « عبد الهادي » في قرية « سباستيا » بمحافظة نابلس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه ثم تابع دراسته الثانوية في مدينة نابلس وعمل في حكومة الانتداب مفتشا للبوليس وظل في عملـه هذا حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين .

وفي النكبة الاولى التي حلت بفلسطين عام ١٩٤٨ انتقل الـى دمشق وعمل مديرا لمنطقة دمشق في وكالة غوث اللاجئين ثـم مديـرا لقسم الشؤون الاجتماعية حيث لا يزال يعمل فيه .

وفي سن مبكرة بدأ « عبد الهادي » يقرض الشعر قبل ان يكـون ملما باوزانه على حقيقتها واول نتاج أدبي له نشره في جريدة « الاقدام» اليافية عام ١٩٣٠ ثم بدأ ينشر نفثات شعره في جريدتي « فلسطين » و « الدفاع » اليافيتين ، وكانت تغلب على شعره عهـد ذاك مسحة الغزل ، ثم تطور شعره الى النواحي القومية والوجدانية وكان يذيـل منظومه بتوقيع « الهادي المحجوب » وفي عام ١٩٤٢ فاز بالجائزة الاولى في المسابقة الشعرية التي اجراها القسم العربي في محطـة الاذاعـة البريطانية بلندن وكان موضوع قصيدته الفائزة « الوحدة العربيـة » وقد قوبل نشرها بالاستحسان والتقدير في الاوساط العربية المتعطشة الى تلك الوحدة ولقوة سبكها وروعة جرسها . وكان المحكمون في تلـك المسابقة بشارة الخوري « الاخطل الصغير » مـن لبنان والشيخ فؤاد الخطيب من الاردن وخليل مردم بك من سورية واثنين مـن أدبـاء فلسطين .

ومنذ عام ١٩٤٢ ذاع اسم الشاعر في الاوساط الادبية واخـذ ينشر شعره في مجلة « الرسالـة » المصريـة و « قافلـة الزيت » السعودية و « رسالة المعلم » الاردنيـة و « العربـي » الكويتيـة و « المستمع العربي » التي كانت تصدرها محطة الاذاعة البريطانيـة بلندن و « المهماز » الحيفاوية و « صوت الشعب » البيتحلمية ، وفي عام ١٩٤٣ فازت قصيدته « صلاح الدين الايوبي » في مسابقـة دعت اليها الاذاعة الفلسطينية في بيت المقدس ، كما فازت قصيدته « الام » بجائزة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في دمشق .

وللشاعر ديوان شعر باسم « قلب شاعر » ما زال مخطوطا وهـو صديق لمعظم الشعراء الفلسطينيين المخضرمين كالمرحوم ابراهيم طوقان والمرحوم عبد الرحيم محمود والمرحوم علي السرطاوي والشعراء الاحياء « ابي سلمى » ومحمد العدناني وبرهان الدين العبوشي ومحيي الدين الحاج عيسى .

نماذج من شعره : وتقديرا لقصيدته الفائزة « الوحدة العربية » نثبت أبياتها فيما يلي :

أأراك يـا علـم العروبة تخفـق   فوق الديار وأنت حـر مطلق
وأرى بلاد العرب ضاحكة الربـى   مـاء الحياة بارضها يترقـرق
وأرى مواطنهـا موحـدة اللـوا   والوحدة الكبرى تـرى تتحقـق
وأرى الوئام على الربوع مخيمـا   وأرى بها شمس الحضارة تشرق

أمنيـة كـم رددت اصداءهـا   «بغداد» و«البيتالعتيق» و«جلق»
و«القدس» و«النيلالسعيد»وكلمن   بعروقـه دم يعـرب يتدفـق
ظلت تجيش بصدر أمـة يعـرب   ولها حنينا كـل قلب يخفـق
فتاصلت في كـل نفس حـرة   عربية تهـوى الوئـام وتعشق
فحديثهـا مـلء المدائن والقـرى   وشعاعها في كـل افـق مشرق
وعبيرها مـلء الفضاء ونشـره   عبق بكـل محلـة يستنشـق
نادى بها السلف القديم ورهطهم   حقبا ، ومطلبها سبيـل مغلـق
ولكم رأى الساعون في تحقيقهـا   عسفا ، فسيقوا للبلاء وشنقـوا
خير الشبـاب مروءة وحميـة   ذهبـوا ونالهـم العذاب المرهـق
والخصم ينكرها عـلى طلابهـا   قهرا ويمعن في البـلاء ويرهـق

انـا بنـو المجد التليد وذكرنا   فوق المجرة شامخـا لا يلحـق
شدنا علـى الايـام خير حضارة   شماء مثـل جلالها لا يخلـق
شعت على الايام ضاحكة السنـا   كالشمس في كـل المواطن تشرق
ولقد نشرنا العلم خفاق اللـوا   وعنا لامرتنـا الحجى والمنطـق
دانت لنـا الدنيـا وكـان لواؤنا   بالنصر في كـل المواطن يخفـق

فلتجمعنـا وحـدة عربيـة   من بعدها في الدهـر لا تتفـرق
ولنسع للماضي المجيد بعزمـة   ابـدا اليهـا الوهـن لا يتطـرق
لنـرى بـلاد العرب قطرا واحدا   ونـرى نجـوم فخـاره تتالـق

وفي عام ١٩٣٠ اكفهر الجو السياسي في فلسطين وازداد العـرب برما وياسا بالزعامة الهزيلة ... وبالزعماء الفاشلين ... والبلاد تسير في طريق الضياع فانشا الشاعر يقول :

قمواسألالزعماء «الصيد»ما فعلوا   ماذا عسىان يردوا القوللو سئلوا
لم تحو غير فضول القول جعبتهم   والقول لا شكفيه الخزيوالخجل
قالوا ايا قوم هاتوا الروحمرخصة   فقدموا الروح ما ضنوا وما بخلوا
قالوا نضحي بغالي النفس نبذلها   فالحمد للـه لا ضحوا ولا بذلـوا
اشقوا البلاد وما زالت تسودهم   ويح الزمان كأن الناس قد هبلوا
تدرعوا اضخم الالقاب وانتحلوا   أجلهـا أينما حلـوا او ارتحلـوا
كم صفقت لهم الدنيا بلا خجـل   وهم كذلك لا ذاقـوا ولا خجلـوا
للـه اشكـو فلسطينـا بأهلهـا   زعامة هزلت والناس قد هزلـوا

١ ـ (عبير ابن جنبي) معناها (أريج قلبي) .

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بعرب فلسطين شرقا وغربا وفرقتهم ايدي سبا قال الشاعر من قصيدة وطنية :

اليس عارا علينا اننا عـرب ... واننـا امـة أعدادهـا كثـر
ونرتضي ان نرى صهيون ظافـرة ... في حربها وجيوش العرب تندحـر
ومجدها في ذرى الجوزاء مرتفع ... ومجدنا من ذرى الجوزاء ينحدر
لكن مـن مزقت اهواؤهم شيعا ... لا ينفعون وان قلوا وان كثروا
سارت جيوشهم للحرب يصحبهـا ... الى الميادين رعـد ما بـه مطـر

٤ ـ الحكم دروزة

ولد « الحكم » في مدينة « نابلس » بفلسطين عام ١٩٣٣ وبعد نشوب الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ نفت السلطات البريطانية والده المرحوم محمد علي دروزه وعمه المؤرخ المناضل الاستاذ عزة دروزه الى دمشق فدخل « الحكم » كلية الفرير بدمشق واكمل فيها دراسته الابتدائية ، وانهى تحصيله الثانوي في كلية الاميركان بدمشق ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ، وعندما بلغ صف الجونيير ـ حيث كان يدرس الاقتصاد والعلوم السياسية ـ فصله المسؤولون في الجامعة الاميركية مع مجموعة من اخوانه الطلاب اثر مظاهرات قاموا بها ضد حلف بغداد عام ١٩٥٥ فقصد القاهرة لمتابعة دراسته في جامعة القاهرة وفي عام ١٩٥٦ حصل على ليسانس في علم الاجتماع ثم استمر في دراسته العليا في نفس الجامعة للحصول على الماجستير فانهى سنتين من السنوات الثلاث المقررة لكن حالت ظروف قاهرة دون انهائه السنة الثالثة فعاد الى دمشق وعين مديرا لمكتب الخليج والجنوب العربي (من ١٩٥٨ ـ ١٩٦١) وتولى رئاسة تحرير صحيفة « صوت الجماهير » الدمشقية عام ١٩٦٣ . وبعد ان اسس مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت عين « الحكم » مساعدا للدكتور أنيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث .

من آثاره القلمية : جنح « الحكم » الى العمل السياسي واحب العمل في مناخه وعالج الشؤون العربية بقلم عربي مؤمن بعدالة قضايا امته المشردة ، ومن آثاره المطبوعة :

١ ـ مع القومية العربية ـ طبع عام ١٩٥٧
٢ ـ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ طبع عام ١٩٦٠.

نموذج من نثره : « هذه القوة الاستعمارية الفريدة من نوعها ، الصهيونية ، حملت منذ نشوئها المبكر فكرا وعملا نزعة عدوانية عنصرية استعلائية سافرة لازمتها طيلة مراحل عملها وتجسدت كاوضح ما يكون بعد ذلك في الدولة الصهيونية : اسرائيل .

فقد قامت الصهيونية ، منذ نشأتها ، على فكرة اغتصاب فلسطين كاملة وطرد شعبها خارج حدودها . انها لم تقم بقصد ايجاد مكان لليهود المضطهدين يعيشون فيه بامان ، ولا حتى بهدف ايجاد تجمع يهودي في فلسطين ، ولا حتى بقصد اقامة دولة يهودية على جزء من ارض فلسطين . ان الصهيونية التي فهمها البعض في البداية مجرد رد على موجة اضطهاد اليهود ، سرعان ما سارعت الى « توضيح هذا الخطأ » مؤكدة ان الهدف من حركة الهجرة والاستعمار الصهيوني هو جعل فلسطين وطنا قوميا يهوديا يجد تعبيره السياسي في الدولة اليهودية الواحدة . هذا التصميم المبكر على اغتصاب فلسطين واقامة اسرائيل نجده في الكتابات الصهيونية الاولى ، وفي قرار المؤتمر الصهيوني الاول ، وفي رفض اية عروض لاسكان اليهود في غير فلسطين، وهو ما عبر عنه وايزمن كاوضح ما يكون في مؤتمر السلم العالمي بباريس عام ١٩١٩ حين اكد ان نظرة الصهيونية لفلسطين « هي ان تكون يهودية ، تماما بقدر ما هي انجلترا انجليزية » .

وحملت الصهيونية فلسفة عنصرية صريحة بل لقد كانت ، بحكم طبيعة نشأتها ، مسوقة الى جعل العنصرية اساسها الفكري الجوهري. فقد نشأت الصهيونية تدعو الى فكرة الوطن القومي اليهودي في وسط اكثرية يهودية وعالمية تعتبر اليهودية ديانة سماوية روحية لا رابطة سياسية قومية ، وترى ان الحل لاوضاع اليهود هو في نمو حركة التحرر الليبرالية وانتصار دعوة المساواة بشكل عام واندماج اليهود كل في المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي اليه .

وفي غياب مقومات الوحدة اللغوية والتاريخية والجغرافية لليهود كشعب ، لم تجد الصهيونية الا العنصرية اساسا تستند اليه لتبرر فكرة الوطن القومي اليهودي وتتصدى لدعوة الاندماج . ففي مقابل الايمان باليهودية كدين يجب ان تترسخ فكرة اليهودية كعنصر ، وفي مقابل دعوة الاندماج يجب ان يرتفع شعار التكتل العنصري .

فاليهود حافظوا على وجودهم لانهم « استطاعوا ان يحافظوا على غريزتهم العنصرية » كما عبر عن ذلك موسى هيس في كتابه « روما والقدس » العام ١٨٦٢ . واليهود يجمعهم « اصل مشترك نقي » كما اكد ليوبنسكر في كتابه « التحرير الذاتي » العام ١٨٩٢ . والفضل في بقاء اليهود شعبا واحدا وعنصرا متميزا يعود لقوانين الزواج التي كانت تعيق « اكثر مما كانت تساعد على الامتزاج العنصري » كما يرى ثيودور هرتزل في كتابه « الدولة اليهودية » العام ١٨٩٦ .

لقد كانت الدعوة لاندماج يهود العالم في المجتمعات التي يعيشون فيها العدو الاول للصهيونية تماما كما كانت العدو الاول للاسامية . ولهذا فان العنصرية ، في غياب الوحدة القومية الطبيعية ، لم تكن جوهر الفلسفة الصهيونية فحسب بل ووسيلتها الى الوجود ايضا . وانها مفارقة تاريخية تدعو للتأمل ان نلاحظ هذا التطابق الغريب بين المفهوم العنصري للصهيونية والمفهوم العنصري للنازية ، وهو تطابق فكري ادى الى استعمال اساليب العمل نفسها التي تجلت في الاضطهاد العنصري الذي مارسته الصهيونية قبل قيام اسرائيل وبعده .

كذلك حملت الصهيونية ، منذ نشأتها ، تلك النزعة الاستعلائية التفوقية التي كانت دوما عبر التاريخ الوليد الطبيعي للفلسفة العنصرية . ان رفض الاندماج اليهودي بالمجتمعات الاخرى لم يكن مجرد نتيجة لاشواق قومية لا واقعية بل كان ايضا ، وربما اساسا ، تجسيدا لتلك النزعة الاستعلائية التفوقية . وقد سخرت الصهيونية اليهودية لتأكيد وترسيخ هذه النزعة مطورة فكرة « الشعب المختار » الى معنى جديد كليا عبر عنه آهادهاعام في معرض حديثه عن التكتل العنصري اليهودي بقوله : « ان امة اسرائيل كامة متفوقة ـ وهي النسخة الحديثة للشعب المختار ـ تستطيع بهذه الطريقة ان تصبح نظاما حقيقيا » ولهذا تبحث الامة اليهودية « عن مكان مستقر تعيش فيه كي تتاح لها ، مرة أخرى ، الفرصة لان تنمي عبقريتها الخاصة .. وتحقق رسالتها كامة متفوقة » .

لكن الحركة الصهيونية ، منذ تشكلها السياسي المنظم في مؤتمر بال وحتى قيام الحرب العالمية الاولى ، لم تكن قد استطاعت ان تحقق اي نجاح يذكر في اي من ميادين البرنامج الاستعماري الذي وضعه ذلك المؤتمر .

فقد كانت اكثرية اليهود الساحقة ما زالت تعارض هذه الدعوة وترى في فكرة التكتل العنصري محاولة ستضعها بالنتيجة في الموضع نفسه الذي تريد أن تدفعها اليه اللاسامية . وكانت حركة الهجرة وانشاء المستعمرات في فلسطين تسير ببطء شديد ولم يتجاوز عدد اليهود في فلسطين حتى الحرب العالمية الاولى ١٪ من يهود العالم . كما اخفقت الصهيونية في الحصول على تأييد أي من الدول الكبرى لفكرة الوطن القومي اليهودي . وبدا ان الصهيونية تسير في طريق مسدود ، الى الجمود والتلاشي .

في هذه الفترة اندلعت الحرب العالمية الاولى التي كان معروفا انها ستشكل الضربة الاخيرة للامبراطورية العثمانية المتداعية ، ووجدت بريطانيا ان الفرصة قد أصبحت مواتية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية القديمة . وهكذا مدت بريطانيا يدها للصهيونية تنتشلها ، فلسفة وحركة ، لتبدأ واياها في اعداد فصول المؤامرة الكبرى .

وظهرت قضية فلسطين الى حيز الوجود دوليا » .

عمان ـ الاردن ... البدوي الملثم

الموت والميلاد

ـ ١ ـ

كنت والساعات تغرقني ..
شهيدا .. يؤلمه الكلام ..
يقتله الزمن .. وتلسعه العيون ..
لم يكن فارس اللحظة ..
ان مات .. لم يدر بشر .. لماذا مات ؟! ..

ـ ٢ ـ

كنت والقمر المصفح ..
نعاود طعم الموت والحريق ..
نعيق .. جحافل الذباب .. والهوام والسقم ..
في محاولة التنبؤ والايقاع ..
مرة .. نصيخ لليقين ..
ومرة .. للقهر العميق ..
يولد في شرايين الجسد ..
تيارا ماردا عملاق .. يكاد يجاوز الآفاق ..
لا يعرف الموت ولا طعم الحريق ..
كما نصبو دائما ان يكون ..
ماردا عملاق ..

ـ ٣ ـ

أحبائي .. ما نفع الظل والاشلاء ..
وحطام السنوات والاعوام ..
واخاديد البكاء .. لا ترعوي ..
تحفر ما لا ينسى .. مما .. لست ادري ..
من فيض البؤس ..
من غمر الاسى ..

ـ ٤ ـ

سؤال كالريح تركض ..
فيضرب ركضها .. رأسي وعيني وكلي ..
كيف بوجهين .. ؟! ..
كيف بظلين .. ؟! ..
الظل المرسوم لاصق ..
والظل الآخر أمين ؟! ..

ـ ٥ ـ

عندما كنت طفلة ..
كانت أمي تضربني .. لاشياء واشياء ..
لست احزن للصفعة ..
أحزن ان اصفع لشيء بال مسحوق ..
فنعاود من جديد ..
طعم الموت والحريق ..
ويغزونا حزن .. معفر الجبين ..

« ونموت كالشجر .. نموت واقفين .. »

ـ ٦ ـ

كفانا .. دخان التبغ يمتص منا الاعصاب ..
وتقسو علينا الكلمات ..
ويلفنا الضباب ..
وتعرفنا زوايا الشوارع ..
وأمهات الحارات .
في صيف الايام وشتاءاتها ..
ندور في الفراغ .. في حلق مشدوه ..
نصلك لحنا نشازا ساهيا ..
نود كلنا ان لا يكون ..
ان نقتل جذعه المأفون ..
ان نمحو اليجب واللاباس ..
ان نقتل اليأس ..
ان ننمو .. رغم نقص الملح .. وغيض التراب .
ان نكون ابطالا كسحاب ..
ان نهفو .. ان نعلم .. ان نحب ..
ان نحلم .. ان نكبر .. ان نناضل ..
ان نحيا .. كمارد خالد الاهاب ..
ان لا نكون زيوس .. ولا بعل ..
ان نخطر في كل بال ..
ان لا نكون اسطورة ..
ان لا نكون خيال ..
ان نمزق العالم الوحشي من حول
ومن طول ..
ان ننجب المارد العملاق ..
ان نغدو نحن عمالقة ..
ان نقتل سود ليالينا ..
ان نخرج للشمس ,. الحي الذي فينا ..

ـ ٧ ـ

هكذا قال الصمت ..
في الرؤى الضبابية ..
وبحار اليقين الزعفرانية ..
في المولد والتاريخ ..
هكذا روت لنا شتاءات الايام ..
أصبحت الشموس الوضيئة ..
لا تغفو ولا تنام ..
الصمت الثرثار .. غفا .. ورحلت الآلام ..
خنق الخوف السفينة نفسه ..
وبرزت .. جميع الاشياء الصافية ..
تحت جناح التوقع ..
مدت يدا .. وقالت :
يا شباب .. سلام .. سلام ..

طرطوس

هيام محي الدين حسين

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا ، ولكن حظها التعيس ان خلقها الله بنتا ، وشاء لها القدر ان تكون على درجة من الدمامة تجعل طالبي الزواج يهربون منها ، وبذلك فان قطار الزواج سيمر بها دون ان تستطيع حتى النظر اليه .. الله يرحم والدها كان يكره البنات وخلف البنات .. يا ليتها كانت ولدا ...

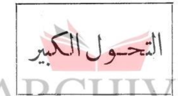
وتسللت « مديحة » من مكانها وزحفت الى حجرتها بعد ان تناهى اليها حديث امها لاحدى معارفها ... وانكفأت فوق فراشها تبكي في مرارة واسى ..

وهكذا كانت حياتها بكاء في بكاء فلقد شاء لها القدر دون ما ذنب جنته ان تنحرف عنها آية الجمال وتحوطها عزلة قاتمة من القبح .

« فمديحة » فتاة في العشرين من عمرها وحيدة والديها ... في السنة النهائية من دراستها الجامعية .. نحيفة .. سمراء .. شعرها مجعد ، متوسطة الطول .. ضئيلة الحجم .. تضع على عينيها نظارة طبية ترتكز على انف كبير .. منطوية على نفسها الى ابعد حد ، دائمة الوجوم يبدو الاسى في عينيها العميقتين بعد ان لاحظت ان جميع زملائها وزميلاتها يبتعدون عن مصاحبتها ..

لذا فقد آثرت الابتعاد عن كل مجالسهم وحفلاتهم ورحلاتهم التي تقوم الجامعة بتنظيمها من حين لآخر خشية ان يتهامسوا عليها ، او يصيبها من نظراتهم الساخرة ما يضيف الى متاعبها متاعب اخرى ، فكانت تقضي اوقاتها في الفترة القصيرة او الطويلة بين المحاضرة والاخرى في المكتبة متنقلة بين كتبها ومذكراتها علها تخرجها من ذلك الضيق الذي يجثم على صدرها دائما ، فكانت احسن اوقاتها هي التي تمضيها في تلك المكتبة ، وقد ساعدها هذا الانطواء على ان تقرأ كثيرا ، مما جعلها تتفوق على زملائها في الدراسة ..

وكان من حب استطلاعها كأنثى محاولتها ان تمسك باحدى المجلات النسائية لتعرف من خلالها اخبار المرأة ونشاطها في العالم ... واذا توقفت وشدتها احدى صور ملكات الجمال اخذت تنظر اليها بتأمل شديد حتى تكاد تلتهم تقاطيع جسدها وجمال بشرتها وتمصمص شفتيها في حسرة .. وتحس وقتئذ بأن صورة امها تقتحم عليها صفحات المجلة بصوتها التي كرهته وهي تحدث احدى صديقاتها عنها .. وعن دمامتها .. وخيبة املها في الزواج .. فتقذف بالمجلة بعيدا عنها كأنما لدغها ثعبان .. وتبكي



بقلم رستم كيلاني

بحرارة ..

لقد احست « مديحة » بالبغض والكراهية نحو الجميلات ... كل الجميلات القريبات والبعيدات لانهن يتسببن في ايلامها وتنغيص حياتها واقسمت في يوم ما بينها وبين نفسها بأنها لن تعاود شراء المجلات النسائية ..

هكذا قضت او امضت « مديحة » سنوات عمرها .. مبتعدة عن زملائها وزميلاتها ، ناقمة على حياتها ، انها تحس بأن تصرفات والدتها



كقيد يحبس حريتها واصبحت تعمل جاهدة على الابتعاد عنها .. وتتلافى الالتقاء معها في حديث او مجلس .. او مجرد ان يجمع بينهما مكان واحد ..

لقد اضحت كلمات امها سما يسري في جسدها .. لقد كرهت « مديحة » الحياة من اجل امها التي تنكد عليها حياتها ، وتجرح شعورها بشكل مريب .. فكلما رأت فتاة جميلة في مثل سنها تظل تؤنبها بطريقة موجعة كأنما « مديحة » هي التي خلقت نفسها وصورتها على هذه الصورة .

لقد اصبحت لا تدري كيف تتخلص من حياتها التي يتخللها اليأس والحرمان ، وذلك الظلام والوحشة التي تعيش فيها لا يستطيع ان يراها او يحس بها غيرها ، حتى اصبح الحزن مظهرا طبيعيا من مظاهر نفسها ، وكانت تشعر بذل الحياة ومرارة مذاقها ..

وكثيرا ما انتابت « مديحة » حالات من اليأس ، فكم من مرة حاولت الانتحار للتخلص من تأنيب امها المتواصل فيدخل القدر فتسعف في آخر لحظة ، ورغم هذا لم ترتدع امها حتى اصبحت «مديحة» تشك في امومتها لها ..

حتى جاء ذلك اليوم ... الذي دعيت فيه « مديحة » لحفل زفاف زميلتها « هدى » التي تتمتع بقسط وافر من الجمال ووجدت الزوج المناسب لها في شخص زميل لها في الجامعة ، تعاهدا على الحب الذي رسم لهما هذه النهاية السعيدة ..

وترددت « مديحة » كثيرا في الذهاب الى الحفل شأن كل الحفلات التي تنأى عنها ، وتهرب منها ..

وعندما حاولت الاعتذار لزميلتها العروس متعللة بشتى العلل المختلفة ... اصرت « هدى » على حضورها وعدم قبول اي عذر لها .

وفي المساء وقفت « مديحة »

امام المرآة ترتدي ملابسها تأهبا لذهابها الى الحفل ، وقد اختارت لنفسها ذلك الثوب الذي تبدو فيه اكثر اناقة ، هكذا قالت لها احدى زميلاتها يوم ان ارتدته اول مرة ..

ولما انتهت من اعداد نفسها .. ووضعت على عينيها نظارتها الطبية تسمرت في مكانها بلا حراك ... وهي تنظر في المرآة .. وتجول بنظراتها حول جسدها الضامر الذي تحسسته مليا .. وكأنما صوت امها يخرج من جدران الحجرة وينتشر في الهواء ويمزق السكون وخيل اليها ان صورة امها تتجمع في بؤرة المرآة .. ويتسع فمها ليلتهم معظم المرآة وهي تقول لاحدى صديقاتها :

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا ، ولكن حظها التعيس ان خلقها الله بنتا ، وشاء لها القدر ان تكونعلى درجة من الدمامة تجعل طالبي الزواج يهربون منها ، وبذلك فان قطار الزواج سيمر بها دون ان تستطيع حتى النظر اليه .. الله يرحم والدها كان يكره البنات وخلف البنات .. لقد كان يناديها باسم « مدحت » ويلبسها البنطلون ظلتمنذ صغرها ترتديه حتى دخلت المدرسة الاعدادية .. آه لو كانت ولدا ..

ثم لاحت امام عينيها صورة المشرفة الاجتماعية وهي تتحدث اليها في تفاؤل واستبشار محاولة ان تخرجها من انطوائها ووحدتها بعد ان عرفت سبب عقدتها :

ـ مديحة ... ان الجمال يا عزيزتي ليس كل شيء في الفتاة ... بل هناك الصفات الكثيرة التي تغطي الدمامة .. هي العلم ... والخلق والثقافة والروح الجميلة ما تهيء لصاحبتها نصيبا في الحياة افضل من نصيب الفتاة الجميلة الجاهلة العاطلة التي لا تخدم مجتمعها بشيء ، وتتظاهر بالعلم وتتكلم بجهل فاضح ، اما انت يا عزيزتي فتمتازين بملاحة اصيلة ... طبيعية ، وديعة بعيدة كل البعد عن الجمال الزائف الصاخب الزائل بمرور الزمن ، متعلمة .. متفوقة وستنالين حظك كاملا ان شاء الله ...

اما اساءة امك لك فربما تكون عن ازمة خاصة بها غشيت حياتها ، وانا اعتقد جازمة انها حينما تتحدث اليك كأنما توجه حديثها الى شبح كان يطفو على مرآة حياتها من الماضي البعيد فتسيء اليك غير قاصدة ذلك ، وان بدا الاصرار عليها في تنفيذ ما توجههاليك مما يعيبك ، واعتقد حينما تنسلخ امك من هذه الاشباح .. ستعود اليك اكثر رقة واعمق حنانا .



رستم كيلاني

●

وشعرت « مديحة » بعد هذا الحديث بأنها انتقلت الى حياةاخرى كلها نور وبهجة .

واندفعت امام عينيها من جديد صورة امها وهي تقول كأنما تمحو او تزيل حديث المشرفة بحديثها المعتاد الى صديقتها .

ـ آه .. لو كانت ولدا لاراحتني قلبا ونفسا .. آه .. لو كانت ولدا ... آه لو كانت ولدا ..

وتكررت في سمع « مديحة »هذه الكلمة في سرعة متلاحقة كأنها المطارق تهوي على جسدها فتسحقه .

وادارت راسها لتبعد عن مخيلتها هذه الصورة ، ولكنها لم تستطع ، كانت تشعر بصدى عميق لهذه الكلمات التي اصمت اذنيها ،واحست بما يشبه الضيق يجثم على صدرها وانفاسها حتى كاد يخنقها ، وكادت تصرخ او تبكي بصوت مرتفع وامتلأت عيناها بالدموع فحجبت عنها الرؤيا في المرآة .. وبدت نظراتها من خلال دموعها كضباب في صباح شتاء معتم ، وظلت تصارع البكاء والنحيب وتكبته في نفسها ، ولكنها لم تستطع ... وانفرطت دموعها رغما عنها ... واستماتت يداها على اذنيها لتحول دون سماع صوت امها الذي يمزق كيانها .

وفي لمحة مثل خطفة البرق تناولت زجاجة العطر الكبيرة الموضوعة على التسريحة وقذفت بها المرآة .. او قذفت بها صورتها .. او صورة امها ..

فأحدثت دويا .. ثم تناثرت على الارض قطعا صغيرة مبعثرة هنا وهناك .. وجريت نحو فراشها ، وارتمت عليه معتمدة براسها فوق ذراعيها، واعتراها وجوم، وذهول.. وضيق يحيطها من كل جانب ... وكان نحيبها يمزق القلوب ويصم الآذان ، حتى غابت عن وعيها ...

وما ان فاقت « مديحة » وعاد اليها وعيها بما يدور حولها حتى احست يدا ليست غريبة عنها تمسك بها في حنان بالغ .. كانت تلك اليد هي يد من حملتها وهي رضيعة .. يد امها .. تمسك

نكبة « صفد »

لقد نقل بعض العرب الذين زاروا مدينة صفد بعد نكبة سنة ١٩٦٧ نبأ تهدم معظم بيوت الاحياء العربية فيها ولا سيما حي « الوطاة » وحي « الصواوين » .

وقف الاوائل في الديار ركابهم   يبكون رسم منازل الاحباب
ووقفت أبكي الدار وهي أسيرة   في قيد لص كاشر الانياب
نبذته دنياه فانزل حقده   غدرا باكرم بقعة ورحاب
يا من يلوم على البكا لو ذقت ما   ذقناه من كرب ومن أوصاب
ما كنت تعذل من تفيض دموعه   حزنا على وطن وفقد صحاب

اشهدت مصرع موطني وشبابه   أبطاله الشهداء ، أسد الغاب
اسمعت عن صفد خراب بيوتها   أرأيت هول مصابها المنتاب
هذي منازلها الرفيعة أصبحت   طللا يعج به عواء ذئاب
وخرائبا ياوي الى انقاضها   رقط الافاعي او جناح غراب
اذ لص ليل شارد يرتاد في   أنحائها شيئا من الاسلاب
كانت وكان لاهلها فيها المنى   في طيب أيام وعز جناب
حتى اذا عبس الزمان ترحلوا   عنها فامست وهي رزم خراب
يا للمعابد اذ يعيث بها العدى   تبكي منائرها على المحراب
سكت الاذان ولست تسمع رنة   تدعو لبر او نوال ثواب
ما للمساجد والكنائس حرمة   في صدر عات او ضمير مرابي

قل للعدو وقد تفاقم شره   أخطات وايم الله كل حساب
هدم البيوت وطمس أي معالم   ما ذاك يطمس حقنا بتراب
وطن عزيز كل ذرة رملة   منه تنادينا ليوم اياب
سنعود نبنيه ونعلي شانه   بزنود أبطال وعزم شباب
قد كنت يا ((صفد)) الحبيبة قلعة   صمدت لكيد الحقد والارهاب
بل كنت صرحا للبطولة والندى   عربية الاحساب والانساب
ان غبر الاعداء وجهك فالدجى   يمحوه صبح من رؤوس حراب
وكتائب كتبت على جبهاتها   عهدا تخضب من دم بخضاب
لن يستقر بارض يعرب غاصب   ابدا ولن يحظى بغير سراب

حلب   محي الدين الحاج عيسى

كفها ملاطفة تمازجها قبلاتها ودموعها وتوسلاتها ، وهي تلقي على سمع ابنتها تلك الكلمات في صوت متهدج عميق :

— مديحة .. ابنتي حبيبتي لقد اسأت اليك كثيرا بغبائي الذي اوشك ان يضيعك مني .. عودي الي وابعدي عن عينيك تلك الغشاوة التي رانت على قلبك ، ولتزيحي هذا السور الذي اقيم بيني وبينك ودعينا نودع الماضي اللعين ونطوي صفحته الحالكة ... لنبدأ صفحة جديدة من حياتنا وسأبذل كل ما في جهدي لاسعادك حتى اعوضك حرمان الماضي ، عودي الي واغفري لي جهلي وعدم ادراكي للامور .

ولاحت على محيا « مديحة » اشراقة بعد ان لمحت في عيني امها حنانا ، وتذكرت حديث مشرفتها ، واحست به يتردد في اعماقها ثم هتفت في صوت خافت لاهف :

— امي .. امي ..

وفى لمح البصر عانقت الام ابنتها وضمتها في حنان الى صدرها ، وراحت « مديحة » هي الاخرى تتشبث بها دون ان تسأل امها عن سببتحولها العظيم في علاقتها معها بعد ان احست لاول مرة منذ سنين مضت بحنان امها الذي فقدته ، وبحرارة شفتيها على وجنتيها التي طال شوقها اليهما .. وكل منهما لا يريد ان يفلت من بين ذراع الاخر .. كانا يودان عناقا ابديا لا ينتهي ... وتحدرت من مآقيهما عبرات.

القاهرة   رستم كيلاني



الشريف الادريسي

اشهر جغرافيي العرب والاسلام

من سلسلة اعلام العرب رقم (٩٧) ـ تاليف محمد عبد الغني حسن ـ (؟) صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر

اعلام الفكر والعلم ، الذي زخرت بهم الثقافة العربية والاسلامية خلال اربعة عشر قرنا ، ما زالوا يتنظرون التعريف بهم على النحو الذي يرضي الفكر والعلم ، والوجدان جميعا . ومن عرف ما عند امم الارض من جهود جبارة يبذلها ارباب الاقلام لديها لجلاء صور اعلامها ، عرف التقصير الذي مني به العرب في هذا الميدان . ولا ريب في ان احياء ذكر هؤلاء الاعلام ، لا يؤلف جزءا هاما من التراث القومي ليس غير ، وانما هو في الواقع دروس جديدة مفيدة تلقن خارج جدران المعاهد والمدارس، وهو الذي سمي في اصطلاح علماء التربية المحدثين « المدرسة الموازية ».

ولقد نهض صديقنا الاستاذ العلامة محمد عبد الغني حسن ، في السنوات الاخيرة ، بيعض هذا العبء ، فاصدر في السنة الماضية كتابا عن جورجي زيدان ، وها هو يصدر اليوم كتابا جديدا عن الشريف الادريسي ، اشهر جغرافيي العرب والاسلام ، تناول فيه مباحث هامة ، منها موجز حياة هذا العلم الجغرافي العظيم ، وصقلية في عهد الادريسي ، وكلمة عن الملك روجر الصقلي الذي الف له الادريسي كتابه « نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق » ، وكيف عرف الملك روجر هذا العبقري ، وتحقيق ميلاد الادريسي ووفاته ، ولمحات عن مدينة سبتة التي ولد فيها ، ومبحثا خاصا عن بعض معاصري الشريف الادريسي ، وآخر عن كتابه « نزهة المشتاق » ، وافرد مبحثا عن مؤلفاته الاخرى ، وتناول خريطة الادريسي ومصوراته الجغرافية بالدرس القيم ، وصنعه لكرة ارضية من الفضة ، وانصف جغرافينا في بحثه « بين الاصالة والنقل » ، واشار الى طريقته في « المعاينة والمشاهدة » ، والى منهجه في وصف البلاد .

ثم رد على النقد الذي تعرض له الادريسي من قبل بعض المستشرقين لتمسكه بالخرافات ، او ببعضها ، في فصل جميل سماه « بين الواقع والاساطير » ، وانتقل بعده الى الادريسي وصاف المدن والبحار ، والى ذكره لرحلة الاخوة المفررين ، الذي يقال انهم اكتشفوا امريكا قبل كولومبوس باربعة قرون ، وعقد فصلا سماه « اوربة والاندلس وافريقية عند الادريسي » ، ولم يفته دراسة « جوانب متعددة من الادريسي » ، و « الادريسي بين التجاهل والانصاف » و «اهتمامات الغربيين بالشريف الادريسي » ، ورأي عبد المتعال الصعيدي في ان الادريسي « من المجددين في الاسلام » ، وختم كتابه بفصلين رائعين هما : « الادريسي في كفة الميزان » و « الادريسي في تقدير الغربيين والعرب » .

هذه هي مباحث الكتاب ، وانت ترى من ثبتها انها بالغة الاهمية ، ولا سيما لعلماء الجغرافيا ، ولتاريخ هذا العلم في القديم والحديث . واشهد انني سهرت ليلتين متعاقبتين مع هذا الكتاب القيم ، فما كنت اشعر الا بازدياد في الرغبة بالمطالعة ، واسفت حينما وصلت الى آخر ورقة فيه .

وما انا بالذي يحمل شيئا جديدا الى القارىء اذا قلت : ان اسلوب علامتنا محمد عبد الغني حسن في هذا الكتاب ، وفي غيره من كتبه التي زين بها جيد المكتبة العربية ، هو السهل الممتنع . فقد عرفه القارىء الذي لم يطلع على كتبه من مباحثه القيمة التي يرسلها الى « الاديب » في كل شهر ، ومن تعليقاته المتعددة ، كما عرفه من شعره الجزل الرقيق ، الذي ينقله عن طبع دافق ، وحس صادق ، وذوق رفيع .

كذلك حسبي ان اكتفي في هذا التعريف بالكتاب ، بالمعاد المكرور من القول ، حين اتحدث عن تحقيق محمد عبد الغني حسن ، في اي موضوع خاصة من مواضيع الكتاب . فانت ترى فيه الى جانب اصالة الراي ، الفنى العريض في المراجع والمصادر ، والمقارنة بينها ، ومعارضتها ، وترجيح بعضها على بعض بالحجة والبرهان ، وابطال ما ثبت بطلانه ، لدى العرب والمستعربين على السواء .

ولست اعجب من ان يقذف علامتنا في كل شهر مثلا بكتاب الى القراء ، فانه على ذلك قدير ، وبه جدير . ولكني اعجب كيف استطاع هذا الشاعر الرقيق ، وهذا الاب الرحيم ، ان يمسك القلم ، وان يفتح الكتاب ، وان يقبل على القرطاس ، وقد فارقه ابناؤه المهندسون الثلاثة الى البرازيل مهاجرين ، فخوى البيت منهم على عروشه ، وبقي فيه وحده مع امهم التي لا تفتا تتفقد اشياءهم الصغيرة التي تركوها ، وحجرهم التي كانوا ينامون فيها ، فيتفجر قلبها وقلب ابيهم حنانا على هذا الفراق ، ان لم اقل أسى وحسرة . نعم ، ان معجزة محمد عبد الغني حسن ، هو انه قد استطاع ان يكتب ، لا بل استطاع ان يحقق تحقيق العالم الخبير ، وان شئت تحقيق « الخريت » على قول الجغرافيين ، في هذا الجو العاطفي المضطرم .

« الا ذلك تقدير العزيز العليم »

تزيل بيروت
ظافر القاسمي
استاذ العربية في الجامعة اللبنانية

•

رحلة الى القمر

للشاعر عبد الرحمن عياش

الرحلة الى القمر شاقة وعسيرة . كانت في الماضي رجما بالغيب فاصبحت حقيقة واقعة . العلماء صيروا المستحيل ممكنا « فما يستوي الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون » .

وافضل العلم ما ينفع الناس ولا يضرهم . وانه لذو حدين قاطعين : اولهما للخير وثانيهما للشر ... لعلي اخالف الكثيرين : هم يعتبرون ان عملية غزو الفضاء واكتشاف القمر انجاز علمي ضخم ، اشبه بالمعجزة ، وانا ابصر فيها انسان الغابة ، ووزرا يضاف الى اوزار حضارة القرن العشرين المادية الصرف التي تسعى الى بلوغ المرء اقصى درجات الرفاه ، ولكنها تصرفه عن الروح ، وعن كل ما يمت بصلة الى المثل الاعلى ، اذ يحصر اهتمامه بذاته ويعمى عمن سواه ، يمشي في الارض مرحا ، ويطير في الجو مختالا ، فلا يحسب حسابا للجياع والمرضى والبائسين ...

لا يكون انسانا « من يبيت شبعان وجاره جائع » وهيهات ان

يصير الى الكمال بغير ان يؤمن بأنه أخ لكل انسان ، أحب أم كره ، والا كان اشبه بحيوان مفترس ، حيث القوي يأكل الضعيف .

مصداق ما اقول : ان آلاف الملايين من الدولارات التـــي صرفت وتصرف بسخاء لغزو الفضاء واختراع آلات الحرب الجهنمية وسائـــر انواع النمار والقنابل السامة وغيرها وغيرها ... ليست بنافعة لبني الانسان عامة ، وانما هي سبيل القوي للفتـــك بالضعيف ، علـــى أهـون حال .

أعجب العجب ان الضعفاء يهللون لبادرات تفوق الاقوياء عليهم ، ابتغاء بسط سلطانهم ، اكثر فاكثر ... وما دروا ان هـذه البادرات ان هي الا نذير الشر لهم . ولماذا يتسابق الاقوياء على غـزو الفضاء ؟ وهم ان يكون لنجدة الملهوفين والمتضعين ، وانما لكي يزداد الاقوياء عتوا وصلفا وليسرفوا في الكيد ما شاء لهم ان يكيدوا . وتبا للكائدين !

لقد جففت حضارة القرن العشرين بهجة القلب في الصدور لانهـا سلكت طريق المادة وعزفت عن الروح . وشتان بين المادة والروح ! تلك هاوية الى حضيض الفرقة والتنابذ والكراهية ، وهذه جاعلة بيننـــا محبة ومودة . افمن يحب كمن يكره ؟

وكمن يتكلمون من بطونهم ، اسائـــل نفسي : أي الرحلتين أحب الي ؟ رحلة رواد الفضاء الى القمر ام رحلة عبد الرحمن العياش اليه؟ لا حيلة لي بعد ان عبرت عن رأيي في الاولى ان اغض طرفي عن الثانية..

غني عن التعريف ان القصيدة من الجودة بمكان ، والا لمـا فازت بالجائزة الثانية ، من بين الف ومائة قصيدة ، قدمت الى محطة الاذاعة البريطانية ... وما لي اسهب في المقدمة ، فحسبي ان اسجل خاطـرة الرحلة ، رحلة رائد الفضاء ــ كما رآها الشاعر العياش او بالتحديد كما وصفها ــ .

لقد اهل قصيدته ، اول ما أهلها ، باقتفاء اثر الاقدمين في لغتهم ، فعلق بصره بصهوة الخيل ، ولم يجد من وسيلة لرحلة رائـد الفضاء غير ان يستعير له صهوة العلم ، بديلا عن الخيل ، تدليلا على انسجام الشاعر مع منطق العصر ، فلا فارس فيه غير العالم .

فارس فوق صهوة العلم يجـــري   في فضاء والعلـــم كان جناحـــا

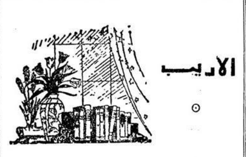
ما للعالم من امام سوى العقل وكفى به شهيدا ... وكما لم يبرع شاعر بمثل ما برع به امرؤ القيس في وصف الليل ، فان العياش لـم تفته شاردة في وصف حركات الرائد وخلجات نفسه ، ومشتهى احلامه وامانيه ، فما يسترشد في مركبة العلم بغير العقل : يصارع الاهوال في العشي والاصباح ، ويتقصى في غزوه ، ما خفي مـــن مجاهل الكون ، عسى ان يبلغ غايته ، فيتربع على ايوانه مثل كسرى ، تحوطه الابراج والانعام ، وقد أتخمته النعمة ... وانه لبا لجد يطوف ، لا مازحا ولا مختالا ، سبيله ان يرى في النجوم حياة ، يقطف لذاتها ويؤوب منهـــا محملا بالكنوز .

وليس الامريكان او الروس خالقـي هـذه الفكـرة ، فقديما كان سليمان يطوي ببساطه الريح طيا . وكان هذا البساط احدى معجزات النبوة فيه . ثم الم يأتكم خبر « ابن فرناس » وقـــد تفتق ذهنه ان يطير في الجو ، فاخترع طائرة ، ارتقى بها قمة الجبل ، فلما ان ركبها ، هوت به الى اسفل سافلين . فكان اول طيار شهيد في العالمين . ولكنه قضى قرير العين ، دون بلوغ المجد ــ مجد اختراع الطائرة ــ وبذلـك كان العرب السباقين الى اختراعها .

وكم كانت لفتة الشاعر الى ابن فرناس ذكية وكريمة ، اذ ذرف عليه دمعة حرى في البيت العشرين :

وممات العظيم خطب جليـــل   غير ان الزمان يأسو الجراحـــا

وكما ان الزمان يأسو الجراح بالنسيان ، فكذلك كان الشاعـر : لقد سلا سليمان وابن فرناس ، وتوجه بعقله وقلبه شطر رائد الفضاء الذي صير المستحيل ممكنا وجعل الحلم حقيقة ، فالقمر الذي كـــان صعب المنال ، كالعنقاء والخل الوفي ، صعد اليـــه الصاروخ ، ليهبط رائد الفضاء على سطحه « مستتبا مستانيا » في خطوه ، على احسن



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩   Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩   Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

حال من انشراح الصدر ، فما اتى اليه غازيا وانما جاء سائحا وكاشفا غياهب ما عجزت عنه الدهور والاجيال الغابرة .

أجمل ما في القصيدة ـ بابياتها الخمسين بعـــد سبعة ـ وصف الصاروخ :

فكأن الصاروخ عفريت جن لذعتـــه اللظـى فهـاج وصاحـا
وتلــوت احشـاؤه وقــواه فنزا ينطح المـدى والريــاحـا
قد محا جريه سواد الليالي مستطـــارا وسـود الاصباحـــا

لكأن الشاعر يغمس قلمـه بريشة فنــان ، اذ يرسم عفريتا مكتويا بالنار ، وقد تمالك قواه وشد على أحشائه التي تفجرت مـن صدره ، ثم انطلق في الزعيق والصياح ، يسابق الرياح ، قائما علـى وجهـه ، يقلب في جريه الليل نهارا والنهار ليلا . تماما كما فعل امرؤ القيس في وصف الليل ، اذ جعله انسانا يتمطى . وما احيلى كلمة « ينطـح » ! ولعل الشاعر استعارها من حفلات مبارزة الثيران في اسبانيا ـ فردوس العرب المفقود ـ وما يفوتني ان اهمس في اذنه : ذلـــك ان الانسان ، وحده ، يكتوي بالنار لانه خلق من طين بينا ان العفريت مخلوق مـــن نار ولا تذعه لظاها .

واعظم بالآلة ـ سبيل المكتشفات والاختراعات ـ تطوع ما في الكون لامر الانسان . يكفي ان يمد يده الى زر الكهرباء ، ليخرج اليه مارد من جان يقول له : « لبيك عبدك بين يديك » :

فاذا رام حاجـــة في عـــلاه جس مـن كـل آلـة مفتاحـــا

ولا ينسى الشاعر ـ بحكم هوايته للصحافة ومعاناته لها مدة غير قصيرة ـ ان يقدم الينا تحقيقا صحفيا دقيقا مع رائد الفضاء ، مبتدئا بلمحة قصيرة عن تاريخ الرحلة ، منذ اقدم العصور الى يومنا هــذا ، حيث شمر رائد الفضاء عن زنده ، مستنيرا بنور العلم لاستكناه اسرار الغيب . وبلا خوف ولا وجل ارتقى الصاروخ ـ عفريت جـن ـ ثـم استراح على سطح القمر . ولا غضاضة اذا ما كشف عن سره ليجلـو حقيقته ، ما به من جمال ـ خلافا لحدس الشعراء والعشاق .

وظل الشاعر يقتفي اثره ، ولم يتطامن عليـه الا بعد ان عاد مـن رحلته ـ سليما كما ذهب ـ تضفره الدنيا باكاليل الغار ، وهو يحمل اليها ، ما استطاع حمله من الصخور الدالة على زيف جمال القمـر . وقد نعتها الشاعر بالجواهر لانها غريبة عـن اعيننا بالاضافة الى انهـا « عينات » التربة للدراسة والتحليل .

انطباعاته : وبعد كمال التحقيق ، سجل الشاعر انطباعاته عـــن الرحلة . وبحرقة ممضة زفر بانفاس حـرى ، اشبه بانفاس عنترة ـ الذي طالما رددها بين الطلول بانتظار لقيا عبلـــة ـ حتى كادت تمحـو نقوش المبرد لفرط حرارتها ـ :

عرفوه يا ليتهم جهلـوه فمن الظلم ان يصير مباحا

ما أعدل ان يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ! وما الطف الكلمة حين توضع في مظانها . وابدا لم تجد كلمة « ليت » مكانا مناسبا الا في توسطها بين « عرفوه » و « جهلوه » وهل أظلم ممن كان محرمـا على الجميع ان يصبح مشاعا للجميع ؟ وأية غضاضة اذا مـــا ركع الشامخ ؟ وهل لقمر العذارى الحسان ان تعفره الاقدام فيكون مرتعـا للخيام ومقيلا للوافدين من كل فج وصوب ؟

ويستطرد في صحو الضمير يهتف بنا :

خل تلك السماء فالارض ماوا نـــا وخل الهموم والاتراحـــا
فمن الظن ان يصيب ويلقى الـ ناس في عالـم النجوم ارتياحـا

فالارض مأوانا ، ولا مأوى لنا غيرها . وأنى لنا الراحة في عالـم النجوم فعلام ننقل اليه الهموم والاتراح ؟

وفي مسك الختام ، تحجب الغيـــوم الكثيفـــة اطباق السماء ، فيتراءى ضعفنا ، ذلك اننـــا شموع تحترق لتتراقص حولهـا الاشباح والاوهام ، فلا نعرف من أمرنا رشدا :

كـم بنينا مـن البقاء زيوفـا وهدمنا مـن الفناء صحاحـــا
نحن في مسرح الحيـاة شموع خلف ستر تراقصت أشباحـــا

وليت الشاعر لم يقف عند هذا الحد ، فلا نجاة لنا بالزهد ـ كما يوحي الينا ـ بل علينا ان نعمل لدنيانا كأننا نعيش ابدا . فما تغني سوداويته عنا شيئا وانما نحن بحاجة الى من يهدينا صراطا مستقيما للحاق بركب الحياة المعاصرة ... من غير اللائق ان يقصر في هذا المجال الرحب الفسيح ، فالشعر ما تنطق به العاطفة ، قبل كل شيء ، وشهرة شاعرنا أنه صادق العاطفة ، فهو مخلص في عمله، غيور على ابناء وطنه.

للحقيقة اقول : ان القصيدة لا تخلو مـن هنات اذكر علـى سبيل المثال البيت الخامس :

وكأن الابراج من طول عهـــد بركت كالانعام وسنى رزاحـــا

ولئن كان صحيح الوزن والقافيـــة الا ان الشعراء استنبطـــوا مخرجا لمستفعلن الثقيلة على السمع فاستبدلوها بمتفعلن ـ كما نهج الشاعر نفسه في اكثر الابيات ـ ذلك ان كلمة « كالانعام » ـ وهـــي موزونة على مستفعلن لا تروق الاذن . ومثل ذلك كلمة « استقبلت » في البيت الثالث والاربعين :

ورأى مـــن صفاتـــه مـا رآه أعصر الكون استقبلت سواحـــا

وقبل ان اترك للقارىء سبيل الحكم لما قلت آنفا ، فانه لا بد لي من التنويه الى ان القصيدة تمتاز بالجزالة وحسن السبك والبلاغة في التعبير ، بالاضافة الى التزام الشاعر بوحدة الموضوع ، مما لا يجاريه فيه الا القليل ، برهانا على أصالة شاعريته ثم على صدق استقامته ، فما يرضى ـ وهو القاضي الكفء ـ ان « ينط » على حبال متعددة وانما آيته ان يوفي الموضوع حقه ... وكفاه بذلك فخرا !

مصياف ـ سورية **مصطفى الخش**

•

اعيان القـــرن الثالث عشر

تاليف خليل مردم بك ـ قدم له وعلق حواشيه عدنان مردم بك ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر لجنة التراث العربي ـ الطبعة الاولـى ـ عام ١٩٧١ ـ بيروت

خليل مردم بك من اشهر الادباء في القـــرن الرابـــع عشر الهجري ، وصاحب مدرسة ادبية كبيرة في بلاد الشام خلال هذا القرن ، وشاعـر وناقد في الطليعة من بين ادباء العروبة ، عاش اربعـــة وستين عامـــا (١٨٩٥ ـ ١٩٥٩) قضاها كلها في خدمة الادب والمعرفة ، وتولى رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق ست سنوات قبيل وفاتـــه (١٩٥٣ ـ ١٩٥٩) . واختير عضوا في اكثر المجامع العلميـة في العالـم العربي ، وترك مؤلفات جليلة ، من بينها : شعـراء الشام في القـــرن الثالث ، واعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، وجمهـــرة المغنين ، والاعرابيات ، وديوان شعر مشهور بديوان خليل مردم بــك ، واصدر سلسلة أئمة الادب ، وقد صدر منها اعدادا عـن : الجاحظ ـ وابن المقفع ـ وابن العميد ـ والصاحب بن عباد ـ والفرزدق . وحقق الدواوين الشعرية العديدة ، ومن بينها : ديوان ابن عنين ، وعلي بـن الجهم ـ وابن حيوس ، وابن الخياط .

ولا يزال رهن الطبع كتاباه : الشعـراء الشاميـون ، وشعـراء الاعراب .

ويعد خليل مردم بك من طبقة الاعـلام والاصلاء في الادب العربـي الحديث .

وكتاب اليوم « اعيان القرن الثالث عشر » من اجل ما الفه خليل مردم من مؤلفات ، وقد تناول فيه أشهر اعـلام القرن الثالث عشر في مختلف البلاد العربية ، وفي شتى جوانب الفكر والاجتماع والسياسة،

ويشمل نحو مائتين وثلاثين علما ، من اشهرها : محمود شهاب الدين الالوسي ، وصالح مجدي بك الشاعر المصري المشهور ، ومحمود صفوت الساعاتي ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الوهابية ، وعبد الله بن حسن الجبرتي ، وعلي الدرويش الشاعر ، والشيخ حسن العطار شيخ الازهر ، وتلميذه الشيخ حسن قويدر ، والشيخ المهدي ، والشيخ الشرقاوي وهما من مشايخ الازهر ، والشيخ البيجوري ، ورفاعة الطهطاوي ، والشيخ ناصيف اليازجي ، ومارون النقاش ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ عليش ، وغيرهم من الشعراء والادباء والعلماء ورجال السياسة في انحاء العالم العربي .

وترجمات الكتاب تمتاز بالايجاز والتركيز والدقة ، وتحديد الملامح الشخصية لكل من ترجم لهم ، او تحدث عنهم .

ويعد الكتاب دائرة معارف عامة عن اعيان القرن الثالث عشر الهجري ، هذا القرن الحافل بكل جديد في الادب والفكر والثقافة في مختلف انحاء البلاد العربية ، بل وفي بعض البلدان الاسلامية .

ويمتاز بوضوح الاسلوب ، واستقامة الفكرة وسلامتها ، وتحديد ملامح الشخصيات التي تناولها تحديدا تاما .

ويحتوي الكتاب على كثير من النماذج الادبية والشعرية الجليلة الطويلة والقصيرة على حد سواء .

وقد صدر نجل المؤلف الكبير الخالد ، الشاعر عدنان مردم بك ، كتاب والده بمقدمة ضافية تحدث فيها عن الكتاب ومؤلفه حديثا طويلا ممتعا .

وهذه احدى ترجمات الكتاب ، وهي ترجمة قصيرة للجبرتي المؤرخ المشهور ..

قال الاستاذ خليل مردم بك في ترجمة هذا العلم المشهور :

« ولد في مصر سنة ١١٦٧ هـ ، واشتغل بطلب العلم في الازهر ، ولما دخل مصر بونابرت طاغية الفرنسيس جعله من كتبة الديوان ..

انقطع الى الكتابة والتاليف في آخر حياته ، وهو صاحب التاريخ المسمى « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ، ذكر فيه حوادث مصر منذ فتوح السلطان سليم الاول لمصر عام ٩٣٢ هـ الى غاية ١٢٣٦ هـ مع تراجم الاعيان المشهورين . وقد ادخل فيه قسما كبيرا من تاريخ آخر ، وصنف فيه وقائع بعثة بونابرت الى مصر ، دعاه « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » ، كتبه عام ١٢١٦ هـ . وقتل احد اولاده في حي شبرا ، فبكاه بكاء مرا افقده البصر ، ولم يلبث ان درج على اثره ، وقيل انه توفي مخنوقا سنة ١٢٣٧ رحمه الله تعالى » ــ ص ١٤٤ .

وبهذا الوضوح والتركيز والايجاز جاءت ترجمات الكتاب كله .

لقد كان لبلاغة اسلوب المؤلف اثر في كتاباته التاريخية في هذا الكتاب .

وصلة التاريخ بالادب ، والادب بالتاريخ ، صلة معروفة ، فالادب للتاريخ ضرورة لازمة لصياغة الحدث التاريخي ، فضلا عن ان التاريخ لاديب او شاعر او ناقد ، يحتاج الى ذوق اديب ، وحس ناقد، وتصوير شاعر . وقد يجمع المؤلف مواد التاريخ من اشتات كتب الادب ومصادره ، التي تعد موسوعة ، ثقافية عامة تؤرخ لذوق الامة وفكرها وثقافتها ، ولحياة مجتمعها ، تاريخا واضحا .

ولا ينقص المؤلف البراعة في الاسلوب ، ولا القدرة الفنية على التحليل والتصوير ، فهو شيخ كبير من شيوخ الادب في عصره ، وعلم من اعلام البيان في زمنه ، وهو من الجيل الرائد الذي ترك آثاره على كل جانب من جوانب حياتنا الراهنة .

وكم كنا نحتفي منذ صغرنا بادب خليل مردم وكتاباته وتآليفه ، واني لاذكر ان من اوائل الكتب التي احببتها وتاثرت بها في نشاتي الادبية ، كتابيه عن الجاحظ وابن المقفع ، اللذين قراتهما مرارا ، ثم كتابه عن ابن العميد .

وفي اثناء رئاسته للمجمع العلمي العربي بدمشق ، نهض هذا المجمع برسالته ، واداها خير اداء .

وقد عاش مع المجمع العلمي العربي اكثر من ثلث قرن : عضوا فيه ثم امينا لسره ، ثم رئيسا له ، وشغل منصب وزير التعليم والتربية في سوريا مرات كثيرة ، ثم منصب وزير للخارجية ، وغير ذلك من المناصب الكبرى التي كان لها كل تاثير في ثقافته وشخصيته وفي تجاربه الادبية العميقة .

والكتاب يسد فراغا كبيرا في الدراسات الادبية والتاريخية عن القرن الثالث عشر ، هذا القرن القريب منا ، والشديد الغموض في كل جوانبه لعدم العناية بتدوين مختلف اخباره وآثاره ، ولا تستطيع ان ترجع الى مصادر كثيرة ، في دراسة اعلام هذا القرن ، وقد يكون هذا الكتاب المركز الموجز من أدق ما كتب عن اعلامه ، وامتع كتب الترجمات المؤلفة عن اشهر رجال الفكر والسياسة والاجتماع والادب فيه .

انا مدينون للاستاذ الكبير عدنان مردم بك بظهور هذا الكتاب ، الذي سوف يكون له اثره في مختلف الدراسات الادبية والثقافية والتاريخية .. والذي يشارك كل اديب ومثقف محققه الفاضل في الاعتزاز به وتقديره ، لانه لا يخص الاب خليل مردم بك ، وانما لانه يخص الاديب والمفكر خليل مردم ، الذي يستمد اليوم من معيشه وثقافته كل كاتب واديب وانسان في مختلف بلاد العروبة .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

كتب جديدة

١ ــ الليالي

عندما ينقل الشاعر اعمال شاعر آخر ، ولو من اقاصي الارض ، فانه

غالبا ما يوفق في تصديه ، ذلك ان احساسات الشاعر لا يستطيع ان يترجمها الا شاعر عانى هذه الاحساسات نفسها ، وتفاعل بها ، فكيف اذا كانت التجربة واحدة والروح والعواطف واحدة .

ورغم ان « الليالي » ـ رائعة الشاعر الفرنسي المشهور الفرد دي موسيه ـ مضى على تاليفها زمان ليس باليسير ، وان كاتبها المتالم الحزين الباكي في حبه لجورج صاند ، لم يعـــد يصلح لعصر كعصرنا اعتنق كتابه وشعراؤه مذاهب جديـدة غير الرومانتيكية ، كالواقعية ، والواقعية الجديدة فان الفرد دي موسيه يبقى له قراؤه . ويبقى لــه عشاقه ومريدوه الذين لا يستهويهم ادب مثل ادب الشوق والحزن والالم والانكسار . ومن هنا كان اقدام الشاعر الاستاذ وجيه الخوري علـــى ترجمة الليالي قبل عدة سنوات ، ولكنه لم يدفع بالترجمة الى المطبعة حينذاك ، بل طواها في ادراجه المليئة بعشرات القصائد التي تنتظر ان يضمها ديوان ثان بعد ديوانه الاول « عبرات الشباب » الذي صدر عام ١٩٢١ كما طوى كتابه المخطوط « مشاهير حمص » المعد للطبع ، ويقع في اكثر من جزء واحد . وبالحاح من اصدقائه الكثر آثــر ان يدفـع بكتاب « الليالي » الى المطبعة التي حرمت من آثاره خمسين عاما قضاها في النظم والترجمة والتاليف والتصنيف .

و « الليالي » حكاية حب بين الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه والكاتبة الفرنسية جورج صاند ، لم يطل امدها اكثر من سنة وبعض السنة ، حاول فيها الشاعر ان يصف الالم الذي لقيه من جراء هجـر حبيبته له ، وهو لما يبل من مرضه بعد ، متهما اياها بالخيانة التـــي ارتكبتها دون مبرر ، سوى انها بمجرد نظرة عشقت شخصا آخر غريب الوطن واللغة ، وذهبت لتعيش معه تاركة الفرد دي موسيه يتقلب على فراش المرض في ديار غربته . ولقد علق الكثيرون من الكتاب والشعراء على هذه الحادثة ، فمنهم من اتخذ وجهة الدفاع عن الشاعر ، ومنهم من دافع عن الكاتبة ، حتى ان بعض خصومها اتهمها بانها كانت تنشد الحب الكامل ، بدليل تقلبها في احضان الكثيرين من العشاق ، لانهـــا وجدت في كل واحد منهم نقصا من جهة .

اما هي فقد ادعت بانه هو الذي بدأ بتركها ، لانه لـم يعد قادرا على الحياة معها ، بسبب سهـــره المتواصل ، وانهماكـــه في الملذات والشراب ، مما افقده صحته وقوته وجعله يسأم الحب .

لقد خاطب موسيه في لياليه هذه ملهمة الشعر التي جعل منهـــا المؤاسية ، والتي كانت في كل احاديثها معه تصف له الحقيقة كما هـــي فعلا ، لا على ما تصورها هو ، وتدعوه الى النسيان وعدم الاستمرار في الاسى لاي ذنب يؤدي به الى الياس المميت ، وانه ليس مـــن جديد في الحياة ، فمثل هذه الحادثة تتكرر كل يوم ، وعلى المرء ان يتقبل ذلك

برحابة صدر . وتجرد عن الانانية والكبرياء التي تنهشه .

ان من يقرأ الليالي يجد فيه مـــن الدقـــة في التعبير ، والخيال الواسع ، والعبقرية الفريدة ما يرفع هذا الشاعر الى مصاف الشعراء العالميين الخالدين ، ويرى ان « الليالي » قطعة موسيقية مـــن شعـر الحياة ستظل القلوب المنكسرة توقعها علـــى قيثارة الاجيال في كـــل العصور ، وعلى مر الادهار .

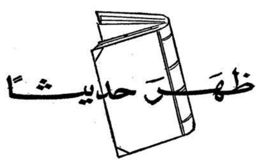
٢ ـ الميادين لفرسانها

ديوان شعر للشاعر صابر فلحوط يقع في حوالي مئة صفحة من القطع الوسط ، تبرع بريعه للمجهود الحربي في سوريـــة ، وتولـــت ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في وزارة الدفاع طبعـــه وتوزيعه ، وقد اهداه « الى الذين يؤمنون بحرب التحرير الشعبية سبيلا الـــى النصر ... الى الذين يسقون بدمائهم جذور تاريخنـــا المطشى ... الى جنود الثورة ، وفدائيي التراب ، وطلائع الفجر .. » . ويختلف هذا الديوان عن سابقيه : « البراكين » « موج البطولة » « نشيـــد الثوار » « بيدر النجوم » بانه من شعر التفعيلـــة الحديث ، ويخلـــو خلوا تاما من اية قصيدة عمودية . ويبدو ان اقامة الشاعر في صوفيا عاصمة بلغاريا ثلاث سنوات ، ملحقا ثقافيا ، حيث نال شهادة الدكتوراه في الآداب ، جعلته يكب على قراءة الشعر البلغاري وسواه ، فتاثر بـــه الى حد بعيد ، بدليل انه ترجم في آخر الديوان ثلاث قصائد : الاولى « المقاومة في فلسطين » للشاعر البولوني « ايفان روسه » والثانيـــة « الجولة القادمة » للشاعر الالباني « جرجس فون » والثالثة « حزيران الاصدقاء » للشاعر اليوغسلافي « خريستو اليف » ، وهي كمـــا نـــرى تعكس مأساة فلسطين ، ونكبة حزيران لـــدى شعراء العالم الاصدقاء ، الذين آلمتهم المأساة والنكسة ، فكانت قصائدهم ، وهـــذه القصائـــد الثلاث نماذج لها ، صدى للالم الذي تغلغلت شظاياه في افئدتهم ، وقد آثر ان ينقلها الى العربية شعرا موزونا لتنسجم مع باقي قصائد الديوان الموضوعة .

٣ ـ خميلة في صحراء العمر

اما ديوان « خملية في صحراء العمر » للشاعر محمد كناكري ، فـــلا يشده اي نسب لديوان « الميادين لفرسانها » السابق . ديوان صغير من القطع الوسط يقع في ١٩٩ صفحة . الا ان قصائد الشاعر لم تحتل منها الا ١٢٤ صفحة فقط . قد تسألني والصفحات الخمس والسبعين ماذا ضمت ؟ فأجيبك : مقتطفات مما قاله الكتاب والنقاد ـ ان كـــان عندنا من نقاد ـ في ديوان الشاعر الثاني « عتابنا غزل » بينهم المعرفة ، وبينهم النكرة ، ومع ذلك فالشاعر يعتذر عن « تكثيف افكار الدراسات النقدية المنشورة » ويقطع على نفسه عهدا « بنشرها كاملة في الطبعـــة الثانية لديوان « عتابنا غزل » .. اذ ما من شك ان مكانها الطبيعـــي هنالك » . وهكذا ترى ان الديوان لـــم تكن غايته ضم قصائـــد الشاعر الثلاث والعشرين فحسب ، وانما ان يأتـــي مـــرآة للديوان السابق وصاحبه . وحبذا لو اقتصر هذا الحشد على اسطر متفرقة اثبتها على صفحة الغلاف الاخيرة ، كما اعتاد ان يفعل غيره مـــن الشعراء ، اذن لازاح عن كاهل القارىء هذا العبء الثقيل من الآراء المكتظة . قصائـــد الديوان غزلية في مجملها ، فيهـــا الحيي الخجول ، وفيهـــا الصريح الجريء ، حافظت على ابحر الخليل لم تشذ واحدة ، وقـــد اخرجت الديوان دار « غراتيب » بدمشق في حلة لا ابدع ولا احلى تدل علـــى الذوق الرفيع الذي اعتمدته هذه الدار وجعلته شعارا لها .

دمشق — عيسى فتوح



● كعب بن مالك ، الصحابي الاديب ــ تاليف عبد العزيز الرفاعي ــ مصمم الغلاف حمد كليب الحارثي ــ ١٢٨ صفحة ــ الكتاب رقم ٤ في سلسلة المكتبة الصغيرة ــ (صدر في الرياض) ــ (لــم يذكر اسم المطبعة) .

● مع البخلاء : عرض دراسي لكتاب الجاحظ ــ تاليف فاروق سعد ــ ٩٦ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ــ مطابع الامان بدرعون لبنان .

● التعاون الاقتصادي العربي في المجال البترولي ــ تاليف الدكتور محمد عبد العزيز عجمية رئيس قسم الاقتصاد وعميد كليــة التجارة بجامعة الاسكندرية ــ ٣٢ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات جامعــة بيروت العربية ــ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) ببيروت .

● العمارة العربية الحضرية بالشرق الاوسط ــ تاليف المهندس حسن فتحي ــ ٤٨ صفحة ــ مع عدة رسوم ــ حجم كبير ــ منشورات جامعة بيروت العربية ــ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● دور الجامعات في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ــ تاليف الدكتور محمد زكي شافعي استاذ الاقتصاد بجامعتي القاهرة وبيروت العربية ــ ٣٠ صفحة و٦٠ صفحات باللغة الانجليزية ــ منشورات جامعة بيروت العربية ــ مطابع دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت .

● الموسوعة الموجزة ــ تاليف حسان بدر الدين الكاتب ــ المجلد ١ ــ الجزء ٢ حرف الباء ــ ٧٤ صفحة ــ حجم كبير ــ مطابــع الف بــاء / الاديب بدمشق .

● الناس والعيب ــ مجموعة قصص ــ تاليف عنتر مخيمر ــ الغلاف بريشة عبد الرحمن نور الدين ــ ٩٨ صفحة ــ مطبعة الشرق عبد النبي بالزقازيق مصر .

● انين القيثار ــ مجموعة شعرية ــ عبد الخالق فريد ــ مع تحيــة شعرية لاحمد رامي ــ صمم الغلاف حسين ابو زيــد ــ ٨٨ صفحة ــ مطابع الدجوي بالقاهرة .

● الدوامة ــ قصة ــ تاليف غبريال وهبة ــ ٢٠٠ صفحة ــ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة ــ المطبعــة الثقافيــة بالقاهرة .

● العلاقات المشتركة بين الرجل والمراة ــ تاليف سمير عبده ــ ١١٢ صفحة ــ السلسلة الجنسيــة المصورة ــ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من خريجي مدرسته ــ تاليف الدكتور عدنان الخطيب ــ ١٨٤ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ــ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● فوزي المعلوف (١٨٩٩ / ١٩٣٠) سيرته ، ادبه ، فنــه ــ تاليف صموئيل عبد الشهيد ــ رسالة ماجستير ــ ٢٢٠ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات العالم العربي ببيروت ــ مطبعة قلفاط بيروت .

● تولستوي فنانا ــ تاليف الدكتورة حياة شرارة ــ ١٤٦ صفحة ــ حجم كبير ــ ساعدت جامعة بغداد على نشره ــ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .

● انت لولاي رماد ــ مجموعة شعرية ــ هــدى صليبا ــ تقديــم عبد اللطيف شرارة وجان كميد ــ صمم الغلاف وخط العناوين مجيد الحايك ــ ١٤٤ صفحة ــ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ــ مطبعة الجمهورية الجديدة ببيروت .

● المعلم علي ــ رواية ــ تاليف عبد الكريم غلاب ــ ٤١٦ صفحة ــ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ــ (لــم يذكر اسم المطبعة) .

● الصوت والاصداء ــ مجموعة شعرية ــ محمد رضا آل صادق ــ ٨٠ صفحة ــ حجم كبير ــ ساعدت وزارة التربية والتعليم العراقية علــى نشره ــ مطبعة الاداب في النجف الاشرف بالعراق .

● في تاسيس النقيض ودراسات وردود ــ تاليف عدنان بــن ذريل ــ ٢٠٠ صفحة ــ منشورات دار الاجيال (بدمشق) ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الصلح سيد الاحكام ــ رواية ــ تاليف حسن حمام ــ ٣٠٨ صفحة ــ حجم كبير ــ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ــ مطابع دار مكتبة الحياة والنشر ببيروت .

● في موكب الايام ــ مجموعة شعرية ــ خليــل الليثي ــ تصديــر الدكتور عبد الصبور مرزوق ــ ١٦٠ صفحة ــ مطبعــة الكيلانــي بالقاهرة .

● في غيابة الجب ــ مجموعة شعرية ــ محمد بهار ــ ١٠٤ صفحة ــ منشورات مكتبة الاقصى بعمان الاردن ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لبنان ان حكم ــ تاليف سعيد عقل ــ طبعة ثانية ــ ٣٠٨ صفحة ــ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ــ المطبعة البوليسية في جونيه لبنان .

● رندلى ــ مجموعة شعرية ــ سعيد عقل ــ طبعة رابعــة ــ ١٥٢ صفحة ــ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ــ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اجراس الياسمين ــ مجموعة شعرية ــ سعيد عقل ــ ١٦٠ صفحة ــ منشورات مؤسسة نوفل للطباعة والنشر ببيروت ــ (لــم يذكر اسم المطبعة) .

● الاسم الاخر لله : كتاب المحبة ــ تاليف جوزيف طوبيــا ــ ١١٢ صفحة ــ مطابع الكريم الحديثة في جونية لبنان .

● كيم ايل سونغ عبقرية من الشرق ــ تاليف ابراهيم شماس ــ ١٤٤ صفحة ــ منشورات المؤسسة الصحفية للعلاقات والثقافــة ببيروت ــ مطابع الهدف ببيروت .

● كيف نجحوا ــ تاليف ايليا حليم حنــا ــ تقديم الدكتور عطية مصطفى مشرفة ــ رسم وتصميم ثريــا العجيزي ــ ١٠٤ صفحــة ــ منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة ــ مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● ذكرى الشيخ اغا بزرك الطهراني ــ بقلم نخبة من ادباء كربلاء ــ ٣٦ صفحة ــ حجم كبير ــ مطبعة النعمان بالنجف الاشرف بالعراق .

● قصائد حب على بوابات العالم السبع ــ مجموعة شعرية ــ عبد الوهاب البياتي ــ الغلاف والرسوم لهاشم سمرجي ــ ١٧٠ صفحة ــ حجم كبير ــ الكتاب ١٣ من سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ــ منشورات مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعــلام العراقية ــ مطبعــة الاديب البغدادية .

● رابعة العدوية ــ مسرحية شعرية مــن اربعة فصول ــ تاليف عدنان مردم بك ــ ١٢٨ صفحة ــ منشورات عويدات ببيروت ــ مطابع الامان بدرعون لبنان .